نظرة الأصدقاء والأعداء لانتصار الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية

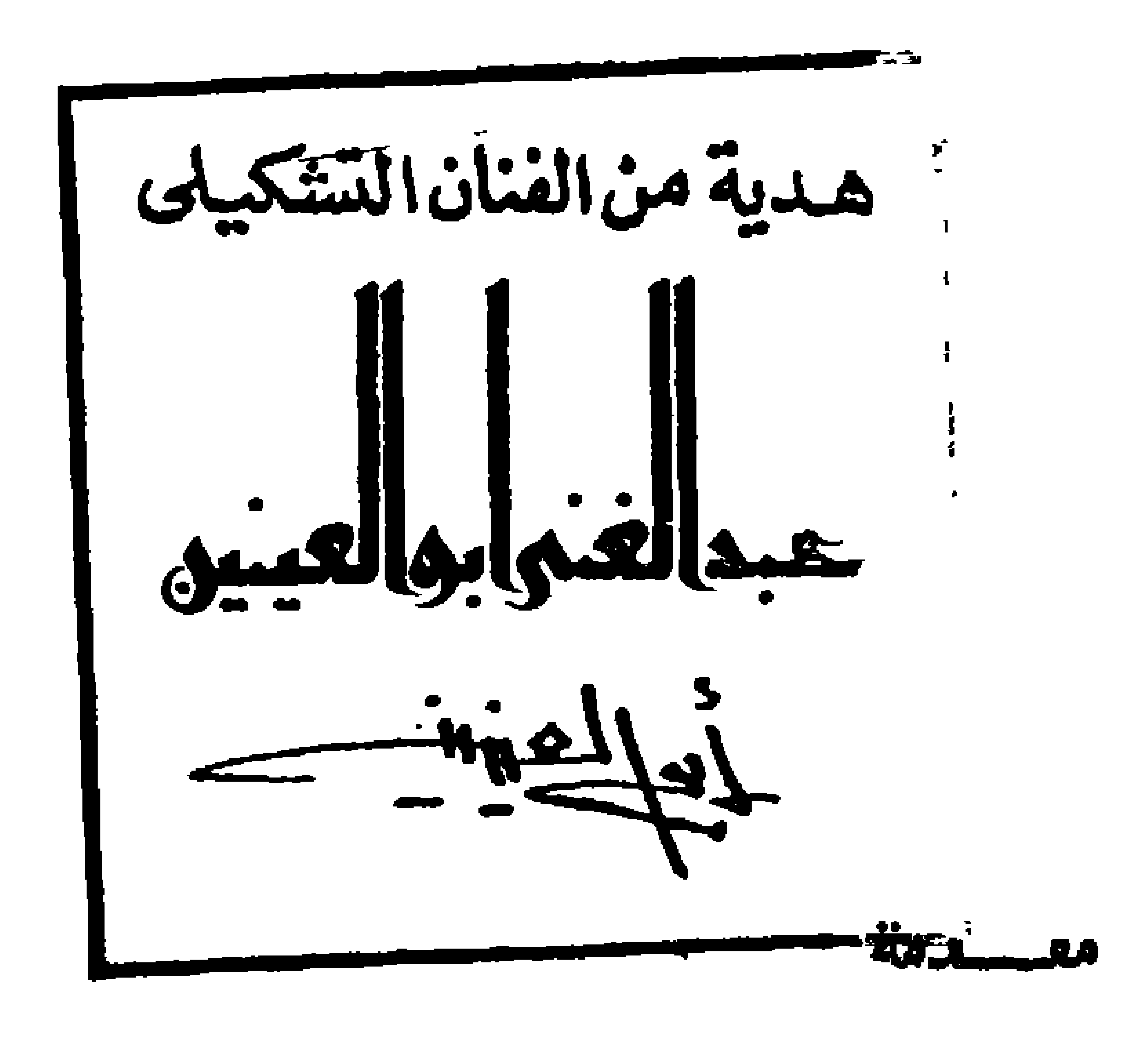
ليونيد يريميف

نظرة الأصدقاء والأعداء لانتصار الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية

مقدمة الكتاب بقلم مارشال الاتحاد السوفييتي

م . ف . زخاروف

دار نشر وكالة « نوفوستي »
موسكو ١٩٧٢



ان انتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب الوطنية العظمى ، الذى تحتفل شعوب العالم أجمع بذكراه سنويا ـ هو حدث ضخم فى تاريخ الانسانية فقد مهدت هزيمة الفاشية الطريق لبداية مرحلة جديدة فى تطور البشرية ، وفى استيقاظ الكثير من الشعوب على الحرية والبعث القومى .

ولقد استعر لهيب الحرب ، التى انفجرت فى خريف عام ١٩٣٩ ، لمدة ست سنوات تقريبا ، وشدت الى أتونها ٦١ دولة ، بلغ التعداد العام لسكانها ١ر٧ مليار نسمة ، واختطفت أرواح ٥٠ مليون نسمة ، فضلا عما عانته ملايين أخرى من الجرائح والعاهات .

وبلغت خسائر الاتحاد السوفييتى فيها أكثر من ٢٠ مليون قتيل . ان الشعب السوفييتى كله ليحنى رأسه أمام الذكرى الخالدة والعطرة لاولئك الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم من أجل القضية الشعبية العامة ، من أجل وطننا السوفييتى .

كانت الخسائر التى جلبتها الحرب خسائر ضخمة ، تقدر برقم خيالى يقارب الارقام الفلكية ـ حوالى ٤ ملايين مليون (٤ x

١٠) ١٢ روبل . كما دمرت الحرب ثروات مادية ضخمة قضت البشرية مئات السنين فى خلقها . ولقد دمر الفاشست فى اراضى الاتحاد السوفييتى فقط ١٧١٠ مدن ، وأحرقوا ٧٠ الف قرية ، كما دمروا كليا أو جزئيا ٣٢ الف مؤسسة صناعية ، ونهبوا ٩٨ الف مزرعة تعاونية ، و ١٨٧٦ مزرعة حكومية . ومنيت بولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والبلدان الاوروبية الأخرى بخسائر مادية فادحة .

وكانت الطغمة الهتلرية ، التى دفعتها الاحتكارات الألمانية والرجعية الدولية تتطلع الى قهر شعوب أوروبا وأفريقيا وآسيا ، من أجل السيطرة الألمانية على العالم أجمع . ولقد اعتبر المعتدون الهتلريون أن تحطيم الاتحاد السوفييتى عسكريا هو العنصر الأساسى لتحقيق تلك الأهداف .

وعند شروق يوم ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ ، قام الجيش الفاشستى المدجج بالسلاح الى درجة التشبع ، مع القوات العميلة باتنجام غادر لحدود الاتحاد السوفييتى . وقد تضمنت التشكيلات الموجهة ضد الاتحاد السوفييتى عند بداية الحرب ٥,٥ مليون جندى وضابط . تم تزويدهم بأكثر من ٥٠ ألف مدفع ، و ٣٧٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة ، و ٤٩٥٠ طائرة ، لقد وجه كل هذا الى بلادنا . ولم يواجه العدو سوى قوات مناطق الحدود السوفيتية ، فتمكنت ٣٣ فرقة سوفيتية فقط من الاشتراك المباشر فى صد تلك الضربة الهائلة من آلة الحرب الهتلرية .

وكان المغتصبون الفاشست يأملون فى الوصول السريع الى نصر عسكرى حاسم . وكانت هزيمة الاتحاد السوفييتى ستفتح أمامهم الباب على مصراعيه الى أفريقيا والشرقين الأدنى والأوسط ، ثم بعد ذلك ، الى القارة الأمريكية ايضا .

ولكن لم يقدر لتلك الحسابات أن تتحقق . فمنذ معارك الحدود الأولى ، أظهرت القوات السوفيتية للمغتصبين . مقاومة منقطعة النظير ، وعرقلت كثيرا من مخططاتهم . ومع هذا ، فان عدم التناسب فى ميزان القوى ، والهجوم المفاجىء كانا قد مكنا العدو من التغلغل كثيرا فى عمق بلادنا .

ان نتيجة النضال المسلح التى بلغت غاية السوء فى فترة بداية الحرب ، والانسحاب القهرى لقواتنا من مناطق شاسعة ، والخسائر الفادحة فى الأفراد والمعدات الحربية ، والانخفاض الحاد فى انتاج الأسلحة وخصوصا الطائرات والدبابات بسبب تغيير مواقع مؤسسات الصناعات الحربية ونقلها الى الشرق ـ كل هذا قد خلق وضعا عصيبا بشكل استثنائى فى البلاد .

وكان الأمر يتطلب جهودا ضخمة بالفعل ، وعزيمة ورجولة لا تقهر وبطولة منقطعة النظير للقوات المسلحة السوفييتية ولكل الشعب السوفييتى من أجل التغلب على الصعاب التى انهالت على بلادنا . ولقد كان للحزب الشيوعى الشرف العظيم فى تحقيق تلك المهمة التاريخية ، اذ أنه قام منذ الأيام الأولى للحرب بدور القوة القائدة فى الكفاح ضد المغتصبين الألمان الفاشست ، وعبأ الشعب السوفييتى كله لتقديم البطولات سواء فى العمل أو فى المعارك من أجل حماية الوطن ، وتم تحويل كل اقتصاد البلاد الى اقتصاد الحرب .

وأجرى تصحيح الوضع على الجبهات وفى المؤخرة ، نتيجة للتجميع الواسع للتدابير العسكرية والاقتصادية والتنظيمية ، وما أن حل خريف ثم شتاء عام ١٩٤١ ، حتى تكبد العدو فى معارك ضواحى موسكو الهزائم الاستراتيجية الهائلة . وأجبر الجيش الفاشى على الانتقال الى الحرب الطويلة ، وانهار مخطط الحرب « الخاطفة » .

لقد انتهت المعركة الرهيبة عند ضواحى ستالينجراد ، بالنصر الرائع للجيش السوفييتى ، وتمزقت القوى المعنوية والمادية للجيش الالمانى ـ الفاشى . فعلى ضفاف نهر الفولجا اطلقت اشارة البدء لتحول جذرى فى الحرب الوطنية العظمى والعالمية الثانية . ان انتصار الجيش السوفييتى عند ضواحى ستالينجراد ، زلزل كيان تحالف البلدان الفاشية كله ، وحدد مسبقا نتيجة الحرب العالمية الثانية عامة .

وفى معركة كورسك ، التى فاقت كل العمليات السابقة من حيث حجم القوات والمعدات التى اشتركت فيها ، حدث تحول جذرى فى سير الحرب العالمية الثانية كلها . وفى ٢٧ يناير عام ١٩٤٤ ، تم نهائيا رفع الحصار عن مدينة لينينجراد . ولقد أظهر المدافعون عن قلعة الثورة المجيدة ، ثباتا ورجولة منقطعى النظير بصمودهم البطولى فى وجه هجوم العدو طوال ٩٠٠ يوم . وفى اغسطس وسبتمبر عام ١٩٤٤ ، قامت قوات الجبهتين الثانية والثالثة الاكرانيتين بمحاصرة تجمع معاد ضخم ، ودمرته فى فترة زمنية قصيرة ، وذلك أثناء عملية ياسكو ـ كيشينيوف . وفى نهاية عام ١٩٤٤ تم الطرد الكامل للمغتصبين الفاشست خارج حدود الاتحاد السوفييتى ، وتحرير الجزء الأكبر من بولندا ، واخراج كل من رومانيا وفنلندا وبلغاريا من الحرب ، ونقل العمليات الحربية الى أراضى الرايخ الهتلرى . وكان من نتيجة عمليات بودابست وفيسلو ـ أودير وبروسيا الشرقية وبوميران وسيليزيا الدنيا وغيرها من العمليات التى تمت على الجبهة العريضة من بحر البلطيق حتى نهاية الدانوب ، ان انزل الجيش السوفييتى خسائر جديدة فادحة بالقوات الهتلرية .

وبادراك القيادة الألمانية الفاشية جيدا لما تسير اليه الأمور ، القت بكل ما عندها من احتياطيات على الجبهة الشرقية . وعلى الرغم من الاستنزاف الأقصى لقوى الهتلريين ، فلقد استمروا فى

القيام بالأعمال القتالية بعناد متعصب . ففى مارس عام ١٩٤٥ بدأوا فى هجوم ضخم مضاد فى المجر عند ضواحى بالاتون ، فى محاولة لتوجيه ضربة قوية الى القوات السوفيتية فى بوميرانيا الشرقية ، وأعدوا خطوط دفاع قوية على الطرق المؤدية الى برلين . ولكن الجيش السوفييتى قطع الطريق أمام تلك المحاولات ، وحطم دفاع العدو ، وأنزل بالعدو ضربات ساحقة جديدة . وأثناء سير عملية فيينا وحدها من ١٦ مارس الى ١٣ أبريل عام ١٩٤٥ ، تم تدمير ١١ فرقة دبابات معادية وأسر أكثر من ١٣٠ ألف جندى وضابط ، وتدمير ١٣٤٥ دبابة ومدفع ذاتى الحركة والاستيلاء على مجموعات هائلة من المعدات العسكرية الأخرى .

وكانت المعركة من أجل برلين ، أضخم معارك الحرب العالمية الثانية ـ هى ختام المعارك . وتم فى أثناء معركة برلين تدمير أكبر تجمع للعدو ـ بتعداد يقارب المليون .

وفى أول مايو (آيار) عام ١٩٤٥ رفرف علم النصر على مبنى الرايخستاج بعد الاستيلاء عليه .

وبمجرد تشتيت التجمع المحاصر فى برلين ، بدأ تنفيذ عملية براج الهجومية من ٦ الى ١١ مايو عام ١٩٤٥ ، والتى حطمت فيها القوات السوفيتية آخر التجمعات الفاشية الالمانية الضخمة وكان تعداده حوالى ٩٠٠ ألف فرد .

ولقد عرض الجيش السوفييتى فى المرحلة الختامية من الحرب نماذج مشرقة من الاستعداد وتنفيذ العمليات الخاصة بحصار التجمعات الضخمة المعادية والقضاء عليها ، مما كان شاهدا على المستوى الرفيع لتطور فن العمليات ومهارة قيادة القوات .

كما حارب جنبا الى جنب مع مقاتلى الجيش السوفييتى ، شعوب بولندا وتشيكوسلوفاكيا والبانيا وبلغاريا ورومانيا

والمحر ، ضد الفاشية . ان حركة المقاومة التي قام بها الوطنيون في فرنسا وايطاليا والنرويج والدانمرك وبلجيكا واليونان وهولندا قد قدمت رصيدا كبيرا من النضال لتحقيق النصر على العدو المشترك .

واشتركت القوات المسلحة لكل من انجلترا وامريكا مع الاتحاد السوفييتي في القضاء على المانيا الهتلرية ، اذ اضطرت الدوائر الحاكمة في هاتين الدولتين ، تحت ضغط الجماهير الشعبية ، الى فتح جبهة موحدة ضد المانيا الهتلرية . ولكنهما قامتا بمكافحة العدو المشترك بنصف قوتهما في ميادين القتال الثانوية - حيث كانت القيادة الهتلرية تستخدم جزءا فقط من قواتها المسلحة .

ولقد تعمدت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا التأخير في فتح الجبهة الثانية ، وتسببت بتأخيرها في مد أجل الحرب . حيث لم يتم فتح الجبهة الثانية الا في يونيو عام ١٩٤٤ ، عندما أصبح من الواضح أن القوات السوفيتية ، يمكنها بدون مساعدة من الحلفاء ، القضاء على الجيش الالماني الفاشي ، وتحرير أوروبا كلها . وحتى بعد فتح الجبهة الثانية تحملت القوات السوفيتية ، كالسابق ، العبء الرئيسي في النضال ضد العدو المشترك ، فمن بين ٣٢٠ فرقة هتلرية ، كانت ٢٣٩ فرقة تعمل على الجبهة الشرقية .

وفي سنوات الحرب العالمية الثانية وعلى الجبهة الشرقية بالذات ، عانت القوات المسلحة لألمانيا الهتلرية وحلفائها أضخم الهزائم وتكبدت أفدح الخسائر في الأرواح والمعدات القتالية . ويكفي أن نذكر القارىء بأنه قد تم تحطيم ٦٠٧ فرق لبلدان المحور الهتلري على الجبهة السوفيتية الالمانية ، في حين أن ١٧٨ فرقة حطمت على كل الجبهات الأخرى .

وكانت ثمة أهمية خاصة لحقيقة أن الاتحاد السوفييتي ، بتلقيه ضربات الجانب الأساسي من القوات المسلحة الالمانية

وأذنابها ، ثم بتعطيله تلك القوات والقضاء عليها ، قد وفر الحماية لانجلترا ومصالحها فى الشرق الأوسط من الاحتلال النازى ، واعطاها فرصة تحسين أوضاعها بعد الهزائم التى حلت بها حتى يونيو عام ١٩٤١ ، أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكيه ، فقد أعطيت الفرصة لتنمية قدرتها الاقتصادية والعسكرية ، وتعبئة قواتها المسلحة . واضطر للاعتراف بهذه الحقيقة الجنرال ج . مارشال رئيس هيئة أركان الحرب فى الولايات المتحدة الامريكية ، وهارولد ايكس وزير الداخلية فى حكومة ف . روزفلت ، والعديد من زعماء الولايات المتحدة الامريكية السياسيين والعسكريين .

ومن جهة أخرى ، فان المانيا الهتلرية ، التى كانت قد القت بكل ثقل قواتها المسلحة ، وبكل جهود اقتصادها العسكرى فى محاربة الاتحاد السوفييتى ، وبعد أن بدأت تعانى الهزيمة تلو الأخرى على الجبهة السوفيتية الالمانية ، لم يعد فى استطاعتها انتاج أنواع جديدة من التسليح من أجل محاربة انجلترا والولايات المتحدة الامريكية .

ولا يمكن انكار أن انجلترا والولايات المتحدة الامريكية قد شاركت برصيد معين فى قضية الانتصار على كتلة البلدان المعتدية وعلى رأسها المانيا النازية . ان الشعب السوفييتى ليقدر أبلغ تقدير المساندة المعنوية والسياسية ، التى قدمتها له انجلترا والولايات المتحدة الامريكية فور بداية الاقتحام الهتلرى لأراضينا ، كما نقدر الجهود الفعالة للشعبين البريطانى والامريكى ، وكذلك نضال قوات الحلفاء المسلحة ، الذى قامت به فى البر والبحر والجو ضد العدو المشترك وفى سبيل النصر ، ونحتفظ بذكريات الشكر العميق للذين سقطوا في ميادين القتال ضد الفاشية .

ولكن جوهر الحقيقة التاريخية يكمن فى أن الشعب السوفييتى وقواته المسلحة قد تحملا العبء الرئيسى فى الحرب الماضية ، وان الجبهة السوفيتية الألمانية ، منذ الأيام الأولى لفتحها وحتى أيامها الأخيرة ، كانت الجبهة الحاسمة فى الحرب العالمية الثانية ، وان انتصارات الجيش السوفييتى قد حددت سلفا نتيجة الحرب وكانت الرصيد الحاسم فى قضية الانتصار الشامل على الفاشية .

ان الخط العام لسير النضال على الجبهة السوفيتية الألمانية وسعته وضغطه ، ووقائع الفشل المؤقت وما أعقبها من انتصارات ضخمة للجيش السوفييتى ، وقيمة تلك الانتصارات ، كل هذا قد انكب عليه علماء التاريخ السوفييت بالدراسة العميقة .

ان أبحاث الندوات العلمية التى قام بها علماء التاريخ السوفييت بالاشتراك مع زملائهم من البلدان الأخرى ، والتى درست فيها القضايا الأساسية فى الحرب الماضية ، قد قدمت رصيدا ضخما لقضية الكشف عن القيمة الحقيقية للانتصار على الفاشية ودور الاتحاد السوفييتى فيه . وأصبح للأبحاث المقدمة للمؤتمر الدولى العلمى ، الذى عقد فى موسكو من ١٤ الى ١٦ ابريل عام ١٩٦٥ ، بمناسبة الذكرى العشرين للانتصار على المانيا الهتلرية ، أهمية خاصة .

ان ذكريات الدبلوماسيين السوفييت ، وتسجيلات وكتب صحفيى الشئون الدولية السوفييت ، ويوميات جنرالات وأدميرالات الجيش والأسطول البحرى الحربى السوفييتى ، لتكشف عن الأوجه العديدة للنضال المرير على الجبهة السوفيتية الالمانية ، واثره على الخط العام لسير الحرب العالمية الثانية .

وتحتل مكانا مرموقا فى اظهار الدور الحقيقى الذى لعبه الاتحاد السوفييتى فى الحرب الماضية ، تعليقات الصحافة الأجنبية ، والزعماء العسكريين والسياسيين ، ومختلف الهيئات الاجتماعية ، التى ظهرت فى أوقات مختلفة خارج حدود بلادنا .

وكان هتلر قد اعلن أمام كبار ضباطه أثناء الاستعداد للهجوم الغادر على الاتحاد السوفييتى ، أنه « عندما تبدأ العمليات حسب خطة « بارباروسا » ، سوف يحبس العالم أنفاسه وسينعقد لسانه عن كل تعليق » . الا أن التعليقات توالت بعد ذلك . وعلى الرغم من أن بعض تلك التعليقات شأنها شأن نظيراتها فى فترة ما قبل الحرب ، كانت عبارة عن تهجمات صريحة معادية للسوفييت ، فان الكثير من « المعلقين » ، تمكنوا من ادراك التقدير السليم لما تجلبه الفاشية من اخطار رهيبة على البشرية ، ومن أن الاتحاد السوفييتى قد دخل صراعا مريرا لا من أجل حريته واستقلاله فقط ، ولكن من أجل حرية كل الشعوب المحبة للسلام فى العالم .

ومن أجل هذا بالذات فان البشرية الشاكرة ، قد أعربت أكثر من مرة وحتى أثناء سير الحرب ، عن تقديرها للاتحاد السوفييتى والشعب السوفييتى ، والقوات المسلحة السوفيتية لما أبدته من ثبات وعزم ، ولتمزيقها المخططات الهتلرية ثم قضائها على الجيش الفاشستى .

ولقد تردد صدى هذا العرفان فى الصحافة الأجنبية ، وفى تحيات زعماء الدول فى بلدان التحالف المعادى للهتلرية ، وفى خطابات العلماء الأجانب ، وفى بيانات القادة العسكريين المرموقين الانجليز والأمريكان ، وفى القرارات البرلمانية .

ان انتصارات الجيش السوفييتى على المغتصبين الهتلريين فى ضواحى موسكو وعلى ضفاف الفولجا وفى ضواحى كورسك

وغرب اكرانيا ، وفى حوض البلطيق وعلى ضفاف نهر الدانوب ، وفى ضواحى برلين وبراغ ــ قد بهرت الشعوب المحبة للحرية بالاعجاب الدائم .

وقد برزت بشكل خاص أوجه العرفان فى الايام التى تمت فيها هزيمة المانيا الهتلرية مباشرة ، وعندما ملأت فرحة النصر قلوب الشعوب ، وأصبحت النجاحات العسكرية السوفيتية فى النضال ضد الفاصبين الفاشست جلية بدرجة استحال معها التقليل من قدرها . فانهمر سيل من المراسلات والبرقيات المفعمة بالتحيات والتهانى الموجهة الى قادة الدولة والحكومة السوفيتية والقيادة العسكرية السوفيتية ، والمرسلة من المسئولين الرسميين ومن الهيئات الاجتماعية ومن رجالات العلم والثقافة ومن الناس البسطاء فى بلدان عديدة .

ولم يتمكن أعداؤنا السابقون ومن شاركهم عقيدتهم فى البلدان الأخرى ، من انكار حقيقة أن القوات الرئيسية لألمانيا الهتلرية قد تم تحطيمها على الجبهة السوفيتية الألمانية .

ولقد خصص هذا الكتاب للسرد المتتابع لأهم الأصداء من جانب حلفائنا السابقين ، وفى البلدان المحايدة ، ومن جانب المحاربين الهتلريين الذين أجبرتهم الهزيمة على الاعتراف بالحقائق .

وتؤكد المواد التى جمعها المؤلف بجلاء ، تلك الحقيقة التاريخية ، فى أنه منذ البداية الاولى للعدوان الهتلرى على الاتحاد السوفييتى ، وحتى سحق قلعة الفاشية فى برلين ، وجهت المانيا جهدها الأساسى الى الجبهة السوفيتية الألمانية ، وأن مأساة النظام الهتلرى قد تفاقمت على الجبهة الشرقية ، وان العامل الرئيسى السياسى والعسكرى ، الذى كانت تعتمد عليه كل مخططات تسيير الحرب فى ميادين العمليات الحربية الأخرى

وتقريرها ، كان باستمرار وبلا منازع تلك الجبهة الســوفيتية الألمانية .

وتبين الأقوال التي وردت في هذا الكتاب ، بكل جلاء ، ان انتصار قــواتنا المســلحة كان نتيجــة ثبات ومهــارة المقــاتلين السوفييت المنقطعة النظير في التاريخ ، عبر معارك عنيفة ومريرة . أما الهزيمة التي انزلها الجيش السوفييتي بالآلة العسكرية الألمانية فقد حددت سلفا نتيجة الحرب قبل أن يفتح الحلفاء الجبهــة الثانية . وأخيرا فان المواد التي جمعها هذا الكتاب لتشهد بجلاء على الدور الحاسم للجيش السوفييتي في تحطيم المانيا الهتلرية وفي درء اخطار الفاشية عن البشرية .

ومن المعروف ، انه في فترة ما بعد الحرب ، بذل الرجعيون من كل الألوان والدرجات ، وما زالوا يبذلون ، قصارى جهودهم من اجل محــو مأثرة الشعب السوفييتي العظمى وفضــله على الانسانية ، من وجدان الشعوب .

ان مزوري الحقائق الامريكيين ومن هم على شاكلتهم يحاولون بشتى الطرق اخفاء حقيقة أن الاتحاد السوفييتي هو الذي وقف في طريق الفاشية الهتلرية الهادفة الى السيطرة على العالم ، وأن الاتحاد السوفييتي بالذات هو الذي قصم ظهرها . انهم يكتمون الكثير من صيحات الاعتراف بشجاعة وبطولة الجيش السوفييتي والشعب السوفييتي كله ، النابعة من طبيعة البنــاء السوفييتي ذاتها ، ومن المستوى الرفيع لتطور الفن الحربي والمهارة القتالية عند الجنود والضــباط والقــادة السوفييت ، ويخفــون بشكل خاص ، اعتراف رجــالات الدولة والسياسة والقادة العسكريين لمختلف البــلدان ، وممثلي المجتمــع الدولي المرمــوقين وبعض المؤرخين الأجانب والصحافة الأجنبية ، بالرصيد الحاسم الذي قدمه الاتحاد السوفييتي في قضية الانتصار على المانيا الهتلرية .

ان الايديولوجيين الحاليين للدوائر الانتقامية فى المانيا الغربية يطمعون فى أن يبرهنوا على أن ألمانيا قد عانت من الهزيمة الساحقة فى الحرب الماضية ، لا تحت الضربات الماحقة من جانب الجيش السوفييتى ، ولكن نتيجة « الخطأ فى التقدير » و « القرارات المهلكة » من جانب هتلر ، ونتيجة عدم رغبته فى الخضوع لرأى جنرالاته ومارشالاته ، و « خيانة » حلفاء الرايخ الهتلرى ، والظروف المناخية غير الملائمة فى روسيا ، والمسافات الشاسعة وما الى ذلك .

ولقد فضح المؤرخون السوفييت أكثر من مرة ، الادعاءات الوقحة للمؤرخين وكتاب المذكرات البرجوازيين ، من أمثال ج . فوللير ، و ب . ليديل هارت ، وابريدلى ، و ر . ريدجواى ، وجنرالات هتلر السابقين وأدميرالاته ف . هيرلتس ، و ك . تيبيلسكيرخ ، و ج . جوديريان ، و أ . مانشتين ، و ف . روجه ، و ك . دينيتسه ، وآخرين ، بغرض تشويه تاريخ الحرب العالمية الثانية ، ولكى يلقوا على هتلر الذنب كله فى نشر الحرب الدموية وهزيمة المانيا ، ولتبرئة الجنرالات الألمان ، ولنسب الدور الحاسم فى هزيمة المانيا الفاشية العسكرية للمقدرة البحرية والجوية الانجلو ـ امريكية ، وللحط من قدر الدور الحقيقى للاتحاد السوفييتى وقواته المسلحة فى الحرب الماضية .

ولا يمكن أيضا تجاهل حقيقة أن بعض رجالات الدولة ، الذين كانوا قد رأوا فى العدوان الهتلرى ضد الاتحاد السوفييتى فى سنوات الحرب ، تهديدا لأمن بلدانهم ، وكانوا يعربون عن اعترافهم بفضل الاتحاد السوفييتى فى درء الخطر قد غيروا نغمة الحديث بعد ذلك .

ونعنى هنا بالدرجة الأولى تشرشل رئيس وزراء بريطانيا السابق الذى مارس لعبة مزدوجة ، ففى الوقت الذى كان يعلن

فيه عن اعجابه بنجاحات الجيش السوفييتي ، عكف على دراسة ووضع مخططات معادية للاتحاد السوفييتي . وفي المرحلة الأخيرة من الحرب أعطى تشرشل امره للفيلد مارشال مونتجومري بأن « يجمع الأسلحة الألمانية ويخزنها بعناية ، حتى يسهل تسليمها الى الجنود الألمان مرة أخرى ، حيث يحتمل التعاون معهم في المستقبل اذا استمر الزحف السوفييتي » .

كما حدث تغيير مثير للدهشة في وجهات نظر ليندون جونسون ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية السابق ، ففي ٨ اغسطس ١٩٤٣ ، وكان عضوا في الكونجرس ، أطلق على العسكرية الالمانية تسمية « عدو البشرية » . ومضى عشرون عاما . وها هو جونسون الذي أصبح رئيسا للولايات المتحدة الامريكية يلقي خطابا بمناسبة الذكرى العشرين للانتصار على ألمانيا الهتلرية ، وفي هذه المرة اعتبر جونسون انه ليس من الضروري تذكر من كان السبب في اشعال تلك الحرب ، ولا أي تهديد للبشرية خلقه العدوان الهتلري ، ولا لأي هدف حاربت شعوب التحالف المعادي للهتلرية وأراقت دماءها ولكنه بجانب هذا رأى انه من الممكن التصريح بأنه :

« منذ عشرين عاما خيمت الأطماع السوفيتية بظلالها على أوروبا » .. ياله من هراء ؟ !

وفي نفس الوقت فان الخطوات العملية التي اتخذها البيت الأبيض ، برفضه الاحتفال رسميا بيوم الانتصار على الرايخ الهتلري ، وبمنعه الدبلوماسيين الامريكيين من حضور العرض العسكري وحفلات الاستقبال التي أقيمت في موسكو بمناسبة « عيد النصر » ـ كل هذا يعني أن الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية قد وضعت « أعداء البشرية الأوروبيين » موضع

الاصدقاء ، وهى لا ترغب فى افساد مزاج الانتقاميين فى المانيا الغربية بذكريات الحرب الاجرامية .

ولكن من المحال ان يقدر شيء ما على التقليل او الحط من قدر الدور الحاسم للاتحاد السوفييتى فى تحطيم الفاشية .

ان كتاب « نظرة الأصدقاء والأعداء لانتصار الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية » الذى تقدمه للقارىء هو فضح مقنع آخر لمثل تلك المحاولات .

م . زخاروف

من المؤلف

ان فكرة ومضمون هذا العمل غاية فى البساطة . فقد كانت هناك حرب شاقة ، دموية ، ليس لها نظير من حيث السعة والعنف بين الحروب الأخرى فى تاريخ البشرية . وقد خيم على العالم أجمع خطر السيادة الألمانية ، حيث كان ينتظر شعوب البلدان المغلوبة ذل العبودية والحرمان من الحقوق .

ثم انتهت تلك الحرب ، انتهت بشكل مغاير لما خططت له هيئة الأركان الهتلرية . وتحطم المطالبون بالسيادة على العالم أجمع ، وذهبت مع الريح أحلامهم الوحشية . وانقضى منذ ذلك الحين أكثر من خمس وعشرين سنة حتى ساد الاعتقاد ان كل هذا قد دخل فى رحاب التاريخ . وفى الواقع فقد أسدلت على الكثير أستار النسيان . ولكن هناك أحداثا وظواهر تظل ابد الدهر فى أذهان وافئدة البشر ، لا يقدر شيء على محوها من ذاكرتنا .

لم ينس الناس السنوات القاسية للحرب العالمية الثانية التى أشعل الغاصبون الهتلريون نيرانها . فهم يذكرونها وسيذكرونها لأن سؤالا قد طرح نفسه أمام العديد من الشعوب فى تلك السنين : تكون أو لا تكون ؟ ولقد دافعت الشعوب فى نضالها المرير عن حقها فى الحياة والحرية .

لم تنس الشعوب ولا يمكن أن تنسى ، كيف تداعت الأحداث فى تلك السنين ، وكم أظهرت شعوب الاتحاد السوفييتي ؟

والجيش السوفييتي من بطولات وتضحيات في نضالها ضد الفاشية .

وفي الوقت الذي كانت فيه الحرب على وشك الاندلاع ، بل وعندما استعر لهيبها ، ثم بعد أن انتهت أيضا ، فكر فيها الكثيرون وتحدثوا وكتبوا عنها .

ولقد انعكس هذا في الوثائق الرسمية وفي اليوميات والخطابات والمراسلات والبرقيات وفي الأحاديث التي نشرتها الصحافة وفي الابحاث التاريخية بعد الحرب وغيرها .

وقد اكتسبت تلك الأفكار والأحكام الآن قيمة الشواهد الوثائقية . وتنحصر ميزتها الأساسية في انها قد ظهرت تحت التأثيرات المباشرة للاحداث التي جرت على جبهات القتال ، وبالدرجة الأولى تحت تأثير الأحداث على الجبهة السوفيتية الألمانية ، حيث قام الجيش السوفييتي وعلى مدى أربع سنوات تقريبا بنضال مظفر ضد الجانب الرئيسي من القوات المسلحة لألمانيا الهتلرية وأذنابها .

وعندما سمى المؤلف هذا العمل « نظرة الأصدقاء والأعداء لانتصار الاتحاد السوفييتي في الحرب العالمية الثانية » ، كان يعني ، قبل كل شيء ، الصفة الرسمية لاصحاب هذه الاقوال أو تلك ــ سواء في معسكر الحلفاء أو معسكر الاعداء . الا أنه كان هناك بلا شك من بين أصدقاء الاتحاد السوفييتي ليس فقط من يمثلون الدول الحليفة ، بل أيضا من يمثلون الدول العديدة الأخرى التي لم تدخل التحالف العسكري مع بلادنا ، ومن جانب آخر فلم يكن كل ممثلي الدول الحليفة من الأصدقاء المخلصين للاتحاد السوفييتي ، وليس كل من كان يتبع معسكر العدو من الوجهة القانونية ، هو عدو الاتحاد السوفييتي : فقد كان في

بلدان التحالف الفاشي ، عدد غير قليل من أعداء الفاشية والشرذمة الهتلرية ، عقائديا وسياسيا .

لقد وضع المؤلف أمام نفسه هدفا هو أن يجمع بتسلسل أبرز ما كتبه أو قاله رجال الدولة والسياسة والقادة العسكريون من مختلف الدول ، وما نقله مراسلو الصحف ومعلقو الاذاعة ، وما أعلن فى المقالات الصحفية والتقارير والخطب والخطابات الشخصية ، عن الخط العام لسير النضال ، وعن أكثر الحوادث أهمية على الجبهة الشرقية ، وعرضه على القارىء المهتم بتاريخ الحرب الماضية .

ان ما ورد فى هذا العمل من مواد لا يهدف بأى شكل من الأشكال الى وصف وتحليل الأحداث فى الحرب الماضية .

ويجب اعتبار هذه المواد فى حدود التكملة المعروفة للاعمال التاريخية ، وفى نطاق التصورات والبراهين ذات الطابع الخاص ، للنتائج المبدئية الواردة فى أعمال المؤرخين السوفييت للدور الحاسم الذى قام به الاتحاد السوفييتى فى تحقيق الانتصار على المانيا الفاشية .

الهجوم الغادر لألمانيا الهتلرية
على الاتحاد السوفييتى

منذ عام ١٩٣٣ ، وعند استيلاء الهتلريين على السلطة ، قاموا بمحاربة أعدائهم السياسيين ، مستخدمين فى ذلك طرقا فاشية نمطية : القهر ، والقتل غدرا والتحطيم وما الى ذلك .

وبعد استحواذهم على السلطة حولوا تلك الطرق الاجرامية الى المجال الدولى . ولقد تميزت الخطوات الأولى للهتلريين خارج حدود المانيا بنقض المعاهدات والاتفاقيات وانتهاك القيم القومية للشعوب وتجاهل مبادىء القانون الدولى والأخلاقيات البشرية ، واطلاق الجواسيس والمخربين على البلدان الأخرى ، واغتيال زعماء الدول ، والتدخل السافر الوقح فى الشئون الداخلية للبلدان الاخرى .

وكان برنامجهم بالنسبة للسياسة الخارجية هو قهر واستعباد شعوب أوروبا ، ثم شعوب القارات الاخرى .

وقبل أن تبدأ الحرب العالمية الثانية ، فى ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ ، بأسبوع ، القى هتلر فى اجتماع فى بيرمنجوف ، احدى خطبه أعلن فيها : « أن بولندا سيتم تطهيرها من سكانها وسيحل محلهم الألمان .. وسيتم نفس الشىء فى روسيا .. أيها السادة سوف نقضى على الاتحاد السوفييتى . وبعدها ستتحقق السيادة الالمانية على العالم . »

وفى نفس هذا العام استغل الهتلريون ، الذين كانوا يتمتعون بالتفوق فى القوى ، خمول كل من انجلترا وفرنسا ، وحطموا بولندا . ثم احتلت الجيوش الهتلرية فى عام ١٩٤٠ النرويج والدانمرك وهولندا وبلجيكا . ولقد كان مصير هذه البلدان حالكا ، اذ فرض الالمان عليها نظام احتلال دمويا ، واغتصبوا الثروات القومية ، وحرموا شعوب تلك البلدان من استقلالها السياسى والقومى .

واعقب ذلك اقتحام فرنسا ، وتم تحطيم جيشها ، وانهارت حكومتها وبرلمانها وأحزابها البرجوازية السياسية ، وعمت الفوضى البلاد .

وكان موقف انجلترا عصيبا للغاية ، اذ قام الطيران الهتلرى بالقاء مئات الأطنان من القنابل على لندن ، واندلعت الحرائق فى المدينة ـ فاحترقت أحواض وأرصفة السفن ، وانهارت المبانى المرتفعة ، وتهدمت الأحياء السكنية العمالية . وهلك الآلاف من سكان لندن أثناء الغارات الجوية ، وأصيب عشرات الألوف بالجراح والعاهات ونزف مئات الألوف من المسنين والنساء والأطفال دماءهم .

وفى البحار والمحيطات أغرقت الغواصات الهتلرية بلا هوادة السفن الانجليزية بحمولاتها من البضائع والمسافرين . ولقد زادت خسائر الأسطول البحرى الانجليزى فى فبراير عام ١٩٤١ ، على ٤٠٠ الف طن ، وفى مارس قاربت الخسائر ٥٣٠ الف طن ، وارتفعت فى ابريل الى ٦٨٧ر٩٠١ طن . وهددت الخسائر المتلاحقة بهذه الأحجام الكبيرة انجلترا بكارثة لا تعوض .

لقد عمل تشرشل كل ما فى وسعه من أجل درء اخطار حصار التجويع من البحر . الا أن جهوده لم تكن هى التى انقذت انجلترا ، اذ يعترف المؤرخون الانجليز ، عند تناولهم لتلك الفترة

بأن : « ... هتلر لم يجرؤ على تركيز جهود احتياطياته كلها في هذا العمل ، ما دام الجيش الأحمر في الميدان » (١) .

ويتحدث في نفس الموضوع الأدميرالات الهتلريون : « لقد انخفضت بشدة واردات انجلترا ، وأصبح الوضع حرجا ، وعلى الرغم من ذلك فأن المانيا لم تتمكن من الاستمرار في المحافظة على جهودها في هذا الاتجاه ، وهذا سببه اقتراب الحملة الروسية » (٢) .

ولقد اضطر المؤرخ الانجليزى ج . بتلر الى الاعتراف بأن ايقاف الهجوم الجوى الالمانى على انجلترا قد حدث « ليس بسبب نجاح الألمان في تحقيق هدفهم ، أو لأنهم أخفقوا فيه ، ولكن فقط لأن القوات الاساسية للطيران الالمانى كان محتما توجيهها الى روسيا » (٣) .

وبالاضافة الى الحصار المميت ، كانت انجلترا مهددة باقتحام الجيوش الالمانية لاراضيها مع كل ما يتبع ذلك من عواقب ، ولكن الاتحاد السوفييتى قد حجب عنها هذا الخطر ايضا .

وليس من قبيل الصدف أن يعلن النائب البريطانى أرثر وود بورن في عام ١٩٤١ : « اننا جميعا .. قليلا ما نراجع أنفسنا في أن القوة الجبارة لروسيا ، حتى أثناء وجودها خارج نطاق الحرب ، كانت ثقلا من رصاص في قدمي هتلر ، عاقه عن الانقضاض علينا » (٤) .

---

(١) B. Liddel Hart, The Russo-German Campaign. The Red Army. New York, 1956, p. 100.

(٢) F. Ruge, German Naval Strategy across two wars. "US Naval Institute Proceedings" No. 2, 1955, p. 162.

(٣) ج. بتلر ، الاستراتيجية الكبرى ، سبتمبر ١٩٣٩ – يونيو ١٩٤١ ، طبعة عام ١٩٥٧ ، ص ٥١٠ .

(٤) "Labour Monthly", October 1941, p. 434.

كما أن الألمان أنفسهم يعترفون بانه : « فى اثناء تركيز القوى وفق « خطة بارباروسا » ، حتى بداية فبراير عام ١٩٤١ ، اصبح مفهوما تماما لدى القيادة الألمانية أن هجوم القوات ، المحدد له ٢٥ ابريل ــ ٥ مايو ، قد أدى الى سحب قوات هائلة من الغرب مما استحال معه تنفيذ عملية « سبع البحر » (احتلال انجلترا ــ المؤلف) (١) .

ولقد اضطرت القيادة الهتلرية ، عندما بدات فى الاستعداد للهجوم على الاتحاد السوفييتى ، الى ايقاف العمليات العسكرية ، ضد انجلترا ، والتخلى عن مخططاتها التى تم اعدادها من قبل لاحتلال الجزر البريطانية .

وكان الاستعداد لمهاجمة الاتحاد السوفييتى ذا صلة وثيقة بالتوجيه الخاص الذى أصدره براوخيتش القائد العام للقوات البرية الألمانية فى ٢١ مارس عام ١٩٤١ لروميل قائد الفيلق الافريقى وكان قد دخل مصر مندفعا الى شبه الجزيرة العربية وايران ، نحو مصادر البترول ، وتضمن التوجيه مهمة محدودة هى استرداد الجزء الغربى من برقة .

كما أجبر الاستعداد لمهاجمة الاتحاد السوفييتى ، القيادة الألمانية على التخلى أيضا عن تنفيذ عدة عمليات أخرى : عملية « اتيلا » (احتلال جنوب فرنسا) ، وعملية « فيليكس » (الاستيلاء على جبل طارق) ، والاستيلاء على جزيرة مالطة ، وعمليات أخرى كانت خططها تامة من حيث الدراسة التفصيلية .

وفى ٣٠ يونيو عام ١٩٤٠ ، أى بعد أسبوع من استسلام فرنسا كتب الجنرال جالدر رئيس هيئة أركان حرب القوات

---

(١) CM. K. Klee. Dokumente zum Unternehmen "Seelöwe" Berlin, 1959, S. 87.

البرية لألمانيا الهتلرية في يوميات عمله : « ان الأنظار تتجه نحو الشرق » . وفى ٣ يوليـو عام ١٩٤٠ كان يناقش قائد غـرفة العمليات التابع له فى كيفية انزال ضربة بروسيا تجبرها على الاعتراف بالدور القيادى لالمانيا فى أوروبا » . وفى ٢٢ يوليـو قدم جالدر الى القيادة تقريرا يتضمن الأفكار الأساسية حـول مخطط الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ، جاء فيه : « من الواجب البدء فى معالجة المسألة الروسية بنشاط » .

وفى ٣١ يوليو أعلن هتلر فى اجتماع فى بيرجهوف : « اذا ما تحطمت روسيا ، سيختفى الامل الاخير لانجلترا .. » .

وبدأ الاستعداد العاجل للهجوم على الاتحاد السوفييتى .

ان هذه الحقائق تدحض ظنون المؤرخين فى المانيا الغربية فى أن قرار مهاجمة الاتحاد السوفييتى قد نضج عند هتلر فى نهاية عام ١٩٤٠ وبداية عام ١٩٤١ ، عنـدما ظهرت بوادر خطر مهاجمة الاتحاد السوفييتى لألمانيا (كما يزعمون) .

وفى معرض حديث الجنرال أيودل ، رئيس هيئة أركان حرب القيادة العليا « الفيرماخت » ، عن الاعداد للحرب ضـد الاتحاد السـوفييتى ، تفاخـر قائلا : « خـلال ثلاثة أسـابيع من بداية هجومنا ، سوف ينهار ذلك المنزل المبنى من أوراق اللعب » .

وفى ٢٩ مارس عـام ١٩٤١ . قـام ريبنتروب بابـلاغ وزير خارجية اليابان عن استعداد المانيا لمهاجمة روسيا ، وأكد ماتسو أوكا بدوره على أن اليابان ستبدأ أيضا فى « اللحظة المناسبة » .

وفى ٤ يوليو تمت مناقشة خطة الاستمرار فى العدوان بعد هزيمة الاتحاد السـوفييتى المنتظـرة ، وذلك فى اجتمـاع قادة « الفيرماخت » .

أما فى الحادى عشر من شهر يونيو فقد تمت الموافقة على التوجيهات الشاملة رقم ٣٢ ـ « الاعداد لفترة ما بعد باربا روسا » .

وحسب ما جاء فى تلك التوجيهات كان من المنتظر ، بعد الانتصار على الاتحاد السوفييتى وبعد وصول الجيوش الالمانية الى الشرق الأوسط ، اجراء مسيرة عبر ايران وأفغانستان ثم غزو الهند . وحتى ذلك الوقت كان يجب على اليابان أن تحتل بورما والملايو ، وان تبدأ فى التحرك نحو الهند .

كما تم اعداد مخطط خاص لاحتلال المستعمرات الداخلة ضمن ممتلكات انجلترا وفرنسا . ووفق ما جاء فى هذا المخطط الذى أعده فون كورسفانت قائد فرقة العمليات الخاصة ، كان يجب أن تضم الى المانيا كل من السنغال والكونغو الفرنسية ، وغينيا ، وجامبيا ، وسيراليون ، وساحل الذهب ، ونيجيريا ، وجنوب السودان ، وكينيا ، وأوغندا ، وزنزبار ، وجزء من الكونغو البلجيكى فى أفريقيا ، وأندونيسيا ، وغينيا الجديدة ، وبورنيو البريطانية فى آسيا ، وجزر المحيطات ، وسنغافورة ، والملايو ، والممتلكات الفرنسية فى الهند الصينية ، ومن بلاد المشرق العربى : فلسطين ، وشرق الأردن ، والكويت ، والبحرين ، والعراق ، ومصر (وتتم الرقابة على قناة السويس بالاشتراك مع ايطاليا) .

وكان من الممكن أن ينقلب كل هذا الى واقع ، اذا ما كانت الحرب ضد الاتحاد السوفييتى قد سارت وفق مخططات المعتدين الهتلريين . ووفقا لراى القاده الفاشست ، كان من الممكن ان تصبح انجلترا فى وضع الجزر المعزولة ، التى لا يشكل الاستيلاء عليها صعوبات خطيرة ، اذا ما كانت المانيا قد انتصرت علي الاتحاد السوفييتي ، واستولت على المستعمرات الأساسية

الداخلة ضمن الممتلكات البريطانية فى الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا . وكانت المنشورات قد طبعت بالفعل من أجل لصقها فى شوارع المدن الانجليزية . وقد حوت تلك المنشورات نظام الاحتلال شديد الصرامة .

وفى نفس الوقت ، كان على وحدات الـ اس . اس ، أن تبدأ فى القبض على كل الأشخاص غير المرغوب فيهم وفق « قوائم سوداء » تم اعدادها سلفا ، وجاء فيها تحت رقم ٤٨ اسم ونستون تشرشل ، وقد حوت مخططات هتلر فى أوروبا ، العدوان على كل من السويد وسويسرا أيضا .

وأخيرا ، فان تلك المخططات كانت تحوى عمليات حربية ضد أمريكا أيضا وذلك بعد انتهاء الحرب فى أوربا .

تلك هى الحدود المريعة ، لما كانوا يحلمون به فى القيادة الهتلرية ، وفى ادارات الرايخ اعتمادا على نجاح الحملة ضد الاتحاد السوفييتى .

والآن ، نسوق بضع كلمات توضح فى اى الأجواء الدولية ولدت تلك الأحلام .

فى عام ١٩٤٤ ، ظهر كتاب فى الولايات المتحدة الامريكية ، مؤلفه سامنار ويلز النائب السابق لوزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ، تحت عنوان « وقت اتخاذ القرارات » ، جاء فيه : « فى تلك السنوات السابقة على الحرب كان ممثلو الدوائر المالية والتجارية فى الدول الغربية الديموقراطية ، بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية — على ثقة تامة من أن الحرب بين الاتحاد السوفييتى والمانيا الهتلرية سوف تكون فرصة سانحة لمصالحهم الشخصية فقط . ولقد اكدوا على أن روسيا ستعانى من الهزيمة لا محالة ، وبهذا سيتم القضاء على الشيوعية ، كما اكدوا أيضا على أن المانيا بعد أن تخور قواها نتيجة لهذا الصدام ، لن تكون

قادرة على ان تصبح خطرا حقيقيا على بقية العالم ولسنوات عديدة » (١) .

أما عن سياسة الدول الغربية ، وقت الاعداد للعدوان الهتلرى على الاتحاد السوفييتي ، فيمكن الحكم عليها من خلال الحقيقة التالية ، جاء فى البرقية الواردة بتاريخ ١٤ يونيو عام ١٩٤١ ، الى سفارتى الولايات المتحدة فى كل من موسكو ولندن ، أمر وزارة الخارجية التالى « اننا لا ننوى توجيه اية مقترحات حول التفاوض لحكومة الاتحاد السوفييتى » ، ثم : « واذا توجهت حكومة الاتحاد السوفييتى الينا باقتراحات فسوف يكون التحفظ ردنا » . « واذا ما اقترحت روسيا السوفييتية اجراء تنازلات بهدف تحسين العلاقات السوفيتية الأمريكية ، فعلينا أن نرفض » (٢) .

ولم تختلف كثيرا عن هذا سياسة الحكومة الانجليزية ، اذ كانت على علم بهجوم المانيا على الاتحاد السوفييتى ، وكان هذا فى صالحها منذ قديم الزمان .

ولكن الرأى العام الانجليزى والشعب الانجليزى ، اللذين عانيا من ويلات الحرب ، طالبا بحسم بتحسين العلاقات المتبادلة والتعاون الحربى مع الاتحاد السوفييتى .

وحتى قبل هجوم المانيا على الاتحاد السوفييتى ، كتبت صحيفة « نيوز كرونيكل » تقول : « اذا لم نتعاون مع موسكو آجلا أو عاجلا ، فلن نقدر أبدا على احلال السلم الحقيقى » (٣) .

---

(١) S. Welles. The Time for Decision, New York, 1944.

(٢) C. Hull. The Memoirs Vol. II, New York, 1947, p. 972-973.

(٣) W.F. and I.K. Coates. A History of Anglo-Soviet Relations. London, 1945, p. 647-648.

كما كتبت « ايفنينج ستاندارد » تقول : « يجب اعلام الجماهير بأنه اذا تحرك هتلر نحو الشرق ، فان انجلترا سوف تعلن الحرب على المانيا » (١) .

ولقد كتبت جريدة المحافظين « ديلى اكسبريس » ، قبل يومين من مهاجمة المانيا للاتحاد السوفييتى ، معبرة عن ضرورة تقديم يد المساعدة للجيش الاحمر فى حالة حدوث عدوان المانى : « يجب أن نكون على استعداد لمساندته (الجيش الأحمر - المؤلف) بكل الوسائل الممكنة » (٢) .

وهكذا فقد وجدت فى انجلترا تيارات فكرية كافية نحو التقارب السياسى والعسكرى والتعاون مع الاتحاد السوفييتى . ولقد خلقت هذه التيارات بسبب الاقتناع ، بانه بدون التعاون مع الاتحاد السوفييتى ، لن تستطيع انجلترا الصمود فى النضال ضد المانيا . ولقد ازدادت تلك الاتجاهات شدة تبعا لازدياد خطر اتساع العدوان الهتلرى فى الشرق .

ولم يكن بمقدور الحكومة الانجليزية الا تضع ذلك فى اعتبارها . ولهذا الاعتبار بالذات أخبر انتونى ايدن وزير خارجية انجلترا ، أ . م . مايسكى السفير السوفييتى فى انجلترا فى ١٣ يونيو عام ١٩٤١ ، بأنه اذا ما هاجمت المانيا الاتحاد السوفييتى فستكون حكومة انجلترا على استعداد لمساعدة الاتحاد السوفييتى .

ولكن ونستون تشرشل نفسه لم يكن ليصدق أن الاتحاد السوفييتى سيتمكن من صد ضربة المانيا الهتلرية . وكانت المخابرات الانجليزية تقدر انه اذا نشبت الحرب بين المانيا والاتحاد السوفييتى ، فسوف يدخل الألمان موسكو خلال ستة اسابيع .

---

(١) "Evening Standard", 19, June, 1941.

(٢) "Daily Express." 20, VI, 1941.

لم تؤمن الدوائر الدبلوماسية بمقدرة الاتحاد السوفييتى على مواجهة الاقتحام الهتلرى ، واعلن كريبس السفير الانجليزى فى الاتحاد السوفييتى رأيه فى ١٨ يونيو ، حول الهزيمة المنتظرة للجيش الاحمر ، فى حالة الاقتحام الالمانى لروسيا (١) .

وفى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ شنت ألمانيا الهتلرية هجومها الغادر على الاتحاد السوفييتى .

ولقد كان لهذا العدوان صدى سريع فى الأوساط الحاكمة الانجليزية ، وبين الشعب الانجليزى .

ومنذ المقابلة الأولى بين أ.م. مايسكى سفير الاتحاد السوفييتى فى انجلترا وأيدن ، عقب اذاعة بيان الحكومة السوفيتية بالراديو عن هجوم ألمانيا على الاتحاد السوفييتى ، أكد ايدن لمايسكى أن الحكومة البريطانية على استعداد لتقديم كل مساعدة للاتحاد السوفييتى ، وأنه لا يمكن الحديث عن أى سلام مع ألمانيا (٢) .

وفى نفس اليوم عقد فى المقر الريفى لتشرشل اجتماع طارىء ، حضره الوزيران ايدن وبيفيربروك ، وديل رئيس هيئة الأركان العامة للامبراطورية ، وكريبس السفير البريطانى لدى الاتحاد السوفييتى . ولقد قضوا سحابة يومهم فى وضع بيان رئيس الوزراء ، الذى تم اعتماده قبل أن يلقيه تشرشل فى الراديو بعشرين دقيقة فقط .

قال تشرشل فى خطابه : « ... لم يوجد خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة من كان أكثر منى استمرارا فى معاداة

---

(1) Documents on Polish-Soviet Relations, 1939-1945, Vol. I, London, 1961. doc. N. 18, p. 102.

(٢) أ.م. مايسكى ، أيام التجارب ـ « نوفى مير » (العالم الجديد) العدد ١٢ لسنة ١٩٦٤ ص ١٦١ .

الشيوعية ، ولن أسحب كلمة واحدة مما قلته عنها . ولكن كل هذا يتضاءل أمام ما يجرى الآن من حوادث .

... ان كل من يكافح النازية ، سواء أكان فردا أو دولة ، سوف يتلقى مساعدتنا ، كما ان كل فرد أو دولة تناصر هتلر ، هى من أعدائنا . هذه هى سياستنا ، وهذا هو تصريحنا . ومن هنا يجب علينا أن نساعد روسيا والشعب الروسى بكل ما نملك من أوجه المساعدة .

ان هتلر يرغب فى القضاء على الدولة الروسية لأنه فى حالة نجاحه هناك ، فهو يأمل فى استدعاء القوى الرئيسية لجيشه وطيرانه من الشرق ، كى يلقى بها نحو جزيرتنا .. ان اعتداءه على روسيا ما هو الا مقدمة لمحاولة الاعتداء على الجزر البريطانية (١) .

وفى اليوم التالى ، ٢٣ يونيو ١٩٤١ ، كتبت « التايمس » ، مع نشرها لخطاب رئيس الوزراء : « ان مهاجمة الاتحاد السوفييتى هى الاجراء السابق فى سبيل الاعداد للهجوم الحاسم على انجلترا . »

وفى ٢٩ يونيو اتخذ آلاف العمال اللندنيين فى حديقة هايد بارك قرارا جاء فيه : « ان شعوب الاتحاد السوفييتى والشعب الانجليزى متساوون فى مصلحتهم فى اسقاط الفاشية ، وفى وضع أسس للسلام الدائم ... ان نضال الشعب السوفييتى هو أيضا نضالنا » (٢) .

---

(١) W. Churchill. The Second World War, Vol. III. London, 1950, p. 331-332.

(٢) "Daily Worker" 30, VI, 1941.

وفى ٢٩ يونيو وجه هيوليت جونسون أسقف كانتربرى ، رسالة الى العمال الانجليز جاء فيها : « لقد وضعت مصائر البشرية على كفتى الميزان فى هذه المعركة العظمى .. فالنور والتقدم فى كفة ، والظلام والرجعية والعبودية والموت فى الكفة الأخرى . ان روسيا ، يذودها عن حريتها الاشتراكية ، تناضل فى الوقت نفسه من أجل حريتنا ، وفى دفاعها عن موسكو ، تدافع عن لندن أيضا . » (١) .

ان المقاومة الباسلة للجيش السوفييتى فى مواجهة غزو المغتصبين الهتلريين ، وتقييد العدو وانهاكه على الجبهة السوفيتية الألمانية ، سرعان ما أدت الى تحسين موقف انجلترا .

وهناك العديد من الشواهد فى هذا الشأن . فيكتب براين تونستول المؤرخ الانجليزى : « ان مهاجمة ألمانيا لروسيا فى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ ، قد منحتنا حليفا نشيطا قادرا وبطلا هو اتحاد الجمهوريات ذى الـ ١٧٠ مليون نسمة .

ان هذا يعنى بالنسبة لنا مساعدة من جانب دولة برية قوية ـ وهو العنصر ذو الأهمية القصوى ، الذى كنا نفتقده حتى لحظتنا هذه » (٢) .

« ان دخول الروس الحرب قد شغل الطيران الألمانى عن الاغارة على بريطانيا وقلل من خطر غزوها . كما أنه قد خفف الى حد كبير من وضعنا فى البحر الابيض المتوسط » (٣) .

منذ لحظة الهجوم الألمانى على روسيا ، بدأت مرحلة جديدة من الحرب . وعلى الرغم من أن قيمة هذا الحدث لم تكن واضحة فى

---

(١) H. Johson. Soviet Strength. London, 1943, p. 153_154.

(٢) ب . تونستول ، الحرب العالمية فى البحر ، لندن (باللغة الروسية) ١٩٤٢ ص ٣٦٧ .

(٣) W. Churchill, Op. cit, vol. III. London, 1950, p. 351.

البداية ، الا أنه فى الواقع قد أصبح نقطة تحول فى مجرى الحرب » (١) .

ويواصل الألمان حديث الانجليز :

« حيث أن كل ما تبقى تقريبا من تشكيلات الطيران القاذفة بعد المعارك الجوية ضد انجلترا ، قد تم تحويله الى الجبهة الشرقية للعمل ضد الاتحاد السوفييتى ، فان نشاط الطيران الألمانى فى الغرب ، كقاعدة عامة ، قد اقتصر على الدفاع لمواجهة غارات الطيران الانجليزى . ان ألمانيا قد أصبحت غير قادرة على تنظيم أى غارات خطيرة على الجزر البريطانية » (٢) .

وفى ذلك الوقت دارت على الجبهة السوفيتية الألمانية معارك تضطرم قسوتها أكثر فأكثر ، وأظهر فيها الجيش الأحمر بطولة ورجولة منقطعة النظير . وتردد صدى الاعتراف بهذه الحقيقة الى آماد بعيدة خارج نطاق الاتحاد السوفييتى .

وجاء فى برقية تشرشل التى بعثها فى ٨ يوليو عام ١٩٤١ الى ستالين : « اننا هنا جميعا مغتبطون بأن الجيش الروسى يبدى تلك المقاومة العنيفة والشجاعة والباسلة ... للغزو النازى . ان شجاعة واستبسال الجنود السوفييت والشعب السوفييتى ، لتستحق الاعجاب العام » .

وأعلن أرشيبالد ساوسبى النائب المحافظ فى مجلس العموم البريطانى فى ٦ أغسطس عام ١٩٤١ ، أن توقف الهجوم الهتلرى على شمال أفريقيا كان نتيجة عمليات حليفنا الروسى ، الذى قيد

---

(١) ج. بتلر . الاستراتيجية الكبرى ، سبتمبر ١٩٣٩ - يونيو ١٩٤١ ، لندن ١٩٥٧ ص ٥٣١ .

(٢) C. Feuchter Geschichte des Luftkieg Entwicklung Zukunft Bonn, 1954, S. 158.

قوات المانيا على الجبهة الشرقية ، ثم تابع قوله : « فلنعترف بتلك الحقيقة ، ولنعرب عن الشعور اللازم تجاه اقدام وشجاعة وفن القوات المسلحة السوفيتية ، التى تذود معنا جنبا الى جنب عن القضية العامة للحرية . ولنعترف ايضا أن مساعدتها قد وصلت الينا فى أكثر الأوقات شدة » (١) .

وبعد انقضاء بضع سنوات على انتهاء الحرب ، اعترف المؤرخ البرجوازى هربرت فيس بما يلى : « لو كانت روسيا قد تخلت عن النضال ، فى الوقت الذى مارست فيه الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذ موقف متذبدب ، لكان من العسير على الامبراطورية البريطانية الصمود » (٢) .

ويكتب ر . باركر فى كتابه (مؤامرة ضد السلام) : « تحولت الحرب خلال ليلة ٢٢ يونيو ١٩٤١ وحدها الى وضع يختلف كل الاختلاف عن وضعها قبل تلك الليلة ، اذ توقف قصف المدن الانجليزية بالقنابل ، وعاد اليها من سبق اجلاؤهم عنها . وفى هذا الوقت من الصيف عاشت لندن ، المحتشدة بالقوات الانجليزية وقوات المستعمرات ، حياة المرح دون مسئوليات تقريبا ، عاشت فى راحة بعد الشتاء السابق العصيب . ولقد حدث كل هذا لأن روسيا قد تلقت الضربة الأساسية » (٣) .

ولقد أشارت جريدة (نيوز أوف ذى ويرلد) ، بتاريخ ١٠ اغسطس عام ١٩٤١ الى أن « توقف الغارات على انجلترا ، الذى نستمتع به الآن ، ليس نتيجة لاجراءاتنا ، ولكنه نتيجة لأن المانيا

---

(١) Parliamentary Debates. House of Commons. 6. VIII. 1941, vol. 373, col. 2012-2013, 2014-2015.

(٢) H. Feis Churchill, Roosevelt, Stalin, the War They Waged and the Peace They Sought. Princeton, 1957, p. 8-9.

(٣) ر. باركر « مؤامرة ضد السلام » ، دار نشر « ليتيراتورنايا جازيتا » ١٩٤٩ ص ٤٥ .

اصبحت مضطرة الى تركيز كل احتياطياتها المادية والذهنية من أجل الحرب ضد روسيا » •

كانت هذه هى النتائج العملية للنضال العصيب الذى انفرد به الجيش الأحمر ضد القوى الرئيسية للجيش والطيران الهتلريين •

ولم تتأخر الولايات المتحدة الأمريكية أيضا فى التعبير عن وجهة نظرها تجاه العدوان الفاشى على الاتحاد السوفييتى •

وعلى الرغم من وجود تعاطف مع المانيا وشعور معاد للسوفيتية فى البلاد ، فان روزفلت رئيس الولايات المتحدة قد أظهر فى ذلك الوقت الحاسم فى التاريخ حكمة دولية هائلة ، وتوصل الى استنتاج ، ان التعاون مع الاتحاد السوفييتى فى النضال ضد العدو المشترك ـ يتمشى مع المصالح الجذرية للولايات المتحدة •

ومنذ نهاية شهر مايو عام ١٩٤١ ، عندما رجع واينانت السفير الأمريكى فى انجلترا الى لندن ، وكان قد غادرها الى الولايات المتحدة لاطلاع المسئولين على وصول هيس المساعد المقرب لهتلر بالطائرة الى انجلترا ، بهدف استمالة الدوائر الحاكمة فيها لعقد صلح مع ألمانيا تكون نتيجته اطلاق يد الأخيرة فى حربها ضد الاتحاد السوفييتى ، وهو النبأ الذى أحدث دويا فى ذلك الوقت ، كلفت الحكومة الأمريكية واينانت أن يبلغ تشرشل أن الرئيس الأمريكى يرى أن الواجب القومى والمصلحة القومية لكل من الولايات المتحدة وانجلترا فى أن تقفا بجانب الاتحاد السوفييتى اذا ما وقع عدوان ألمانى عليه •

ولا شك ان هذا التبليغ كان له اثر معين على الحكومة الانجليزية ، تردد صداه فى بيان تشرشل بالراديو فى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ •

وجدير بالذكر أن وجهة نظر رئيس الولايات المتحدة نقلت الى تشرشل فى ٢٠ يونيو عام ١٩٤١ ، أى فى عشـية العدوان الهتلرى على الاتحاد السوفييتى ٠

أما بالنسبة لحكومة الولايات المتحـدة الأمريكية ، فان أول بيان رسمى لها كان قد أعلن فى ٢٣ يونيو بواسطة ويلز القائم بأعمال وزير الخارجية الأمريكية ، جاء فيه : « ان الولايات المتحدة تعتبر أنه من المناسب تقديم المساعدة للاتحاد السوفييتى » ٠

وفى هذا اليوم ، قرأ ويلز فى المؤتمر الصحفى نص بيـان وزارة الخارجيـة ، الذى أعده بنفسه ، وأشـارت فيه الحكومة الأمريكية الى أن المسألة الأساسية للولايات المتحدة فى هذا الوقت هى مسـألة هل سـيتم القضـاء على (الخطة الهتلرية للاحتلال الشامل) ٠ وقد اختتم البيـان بعبارة أضـافها روزفلت : « ان الجيوش الهتلرية تمثل اليوم الخطر الرئيسى على أمريكا » ٠

وفى اليـوم التالى ، أى فى ٢٤ يونيـو ، أعلن روزفلت فى مؤتمر صحفى ، أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقدم للاتحاد السوفييتى كل ما يمكنها تقديمه من مساعدات ٠ ولقد ساعد على اتخاذ هذا القرار بدرجة كبرى ، موقف جوزيف ديفيز ، السفير الأمريكى السابق لدى الاتحاد السوفييتى ، الذى كان قد دون مشاهداته حول الحيـاة فى الاتحـاد السوفييتى فى كتاب « بعثة الى موسـكو » (١) ٠

ان معالجـة ديفيز الرشـيدة فى تقدير السياسـة الداخلية والخارجية للاتحاد السوفييتى قد ساعدت الحكومة الأمريكية على

---

(١) J.E. Davies. Mission to Moscow. 1941.

كتب روزفلت على الغلاف الداخلى لهذه النسخة التى أهداها له المؤلف : « سيعيش هذا الكتاب عمرا طويلا » ٠

وضع أسس وتكوين سياسة التعاون مع الاتحاد السوفييتى •
وفى نفس الوقت ، كما كتب ديفيز : « كان كبار رجال الجيش يتنبأون بهزيمة روسيا فى بحر بضعة أسابيع ، وقد أعلنت عن مخالفتى لهم فى الرأى تماما ، اذ اننى كنت على دراية كاملة ، أثناء وجودى كسفير فى روسيا حتى وقت قريب بمدى قوة ومنعة روسيا من وجهة النظر العسكرية » (١) •

وباتخاذ روزفلت لهذا القرار ، فانه فى الوقت نفسه قد أيد بيان تشرشل ، مدعما بهذا الوحدة الانجلو - أمريكية فى الحرب مما كان أيضا متمشيا مع المصالح الأمريكية •

ولقد وجدت هذه السياسة تأييدا عريضا من جانب الدوائر التقدمية فى الولايات المتحدة ، ومن أغلبية الشعب الأمريكى ، وعبرت عنه البيانات العديدة والمظاهرات والخطابات والبرقيات وغيرها •

ان اتجاه القطاع الطليعى من المجتمع الأمريكى ، يعبر عنه البيان الذى نشرته منظمة الكتاب الأمريكيين ، (كانت فى ذلك الوقت تضم أكثر من ٧٠٠ كاتب ، ويرأسها تيودور درايزر الكاتب الأمريكى الشهير) • والذى دعت فيه الى تقديم المساعدة الفورية والى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمساندة انجلترا والاتحاد السوفييتى ، بهدف ضمان الهزيمة العسكرية للمعتدين الفاشست •

ولقد عبر س • ويلز ، عن اتجاهات الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن وقع العدوان الألمانى الهتلرى على الاتحاد السوفييتى ، عندما كتب يقول : « ••• ان المطالبة بأن ينال الاتحاد السوفييتى

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦ •

المساعدة الأمريكية بكل أشكالها الممكنة ... قد أصبحت تتمتع بطابع شعبى عــام » (١) .

وكتب هارولد ايكس وزير الداخلية الامريكى فى مذكراته يوم ١٢ يوليو أن الجيش السوفييتى « يعوق الالمان بشكل رائع ».. « وان الالمان يتأخرون فى تنفيذ مخططاتهم » (٢) .

وفى اول اغسطس كتب هــوبكنس فى تقـــريره الى رئيس الولايات المتحدة ووزير خارجيتها حول وصــول الممثل الشخصى لروزفلت الى الاتحاد السوفييتى ، يقول : « اننى واثق من هــذه الجبهة . ان الروح المعنوية للســكان عالية بدرجة غير عادية . وهنا يسـود شعور العزم الراسخ على النصر » (٣) .

وجاء فى خطاب توماس لامونت ، الراسمالى الكبير ورئيس شركة مورجان ، الذى نشرته جريدة (نيويورك تايمس) . « يرى البعض أن تحالف أمريكا مع روسيا أمر غير طبيعى . ولكن لماذا ؟ فى أثناء الحرب الماضية كانت روسيا حليفة للولايات المتحدة ، وخلال المائة والخمسين عاما الاخيرة خاضت روسيا ثلاث حروب بالاتفاق مع انجلترا لمجابهة الدكتاتوريين ، الذين حاولوا السيطرة على أوروبا : نابليــون وويلهلم الثــانى وهتــلر . ولم تــكن تلك الاحلاف من قبيل المصادفة . ان السلام فى أوروبا يعتمد الآن ، كما كان الحال فى سنوات ١٨١٤ و ١٩١٤ ، على ثبــات روسيـــا فى شرق أوروبا » .

(١) S. Welles. Op. cit. p. 171-172.

(٢) The Secret Diary of Harold L. Ikes, vol. III, New York, 1954, p. 577.

(٣) هوبكنس : الى روزفلت وهيل واوزليس ـ موسكو فى ١٩٤١/٨/١
Foreign Relations, the U.S. Diplomatic Papers, 1941 Vol. 1, Washington, 1958, p. 814.

ولكن ، بجانب هذا التأييد العريض لنضال الشعب السوفييتي من جانب الرأى العام الأمريكي ، والايمان بالهزيمة الحتمية للفاشية ، كان فى الولايات المتحدة وجهات نظر واتجاهات أخرى على طرفى نقيض من هذا •

ولعل البيان المستهتر لترومان عندما كان عضوا لمجلس الشيوخ خير شاهد على ذلك ، وقد جاء فيه : « اذا رأينا أن ألمانيا سوف تكسب الحرب ، فعلينا أن نساعد روسيا ، اما اذا وضح لنا أن روسيا ستكون المنتصرة ، فمن الأوفق فى هذه الحالة أن نساعد ألمانيا ، وعلى هذا ، فليتقاتلوا ويقتلوا بعضهم البعض بأكثر ما يمكن » (١) •

واجتهدت صحافة هيرست الرجعية بشكل خاص فى اعلان الهزيمة الوشيكة للاتحاد السوفييتي حيث أكدت مجلة (نيويورك جورنال آند أمريكان) أن « روسيا مقضى عليها • ولن تقدر أمريكا وانجلترا على الحيلولة دون انهيارها السريع تحت ضربات الحرب الخاطفة » •

وعندما أعلن روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، أنه لا يشارك فى مثل هذه « التنبؤات » ، ويعتبر أن الاتحاد السوفييتي سوف يصمد على الأقل حتى بداية الشتاء ، انهالت الجرائد الرجعية على الرئيس بالسباب مؤكدة أنه خرج عن صوابه

ولكن الحقيقة الثابتة هى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد وقفت فى جانب معاداة الفاشية فى الحرب ، حيث رأت فيه الضمان الوحيد لأمن الولايات المتحدة ذاتها • وكتب الأمريكيون : « ••• لقد كانت روسيا السوفيتية هى المفاجأة العظمى فى الحرب العالمية الثانية ، اذ وضح فى ليلة واحدة أن الضباب

---

(١) The "New York Times" 13. VII. 1941.

الكثيف قد انقشع ، وظهرت للعيان ملامح وقيمة الاتحاد السوفييتى وقادته وجيشه وشعبه » ، ولنقتبس كلمات كورديل هال ، « والصفات الملحمية لترابه الوطنى » (١) .

ان دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ، كما اعترف هال وزير خارجية أمريكا ، « قد بعث فينا الأمل فى أن الهتلرية سوف تهزم » (٢) .

ولقد أدى الهجوم الهتلرى على الاتحاد السوفييتى الى تفجير موجة عارمة من الغضب والاستياء فى فرنسا التى احتلت ولم تقهر . ففى ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ توجه الحزب الشيوعى الفرنسى الى الشعب بنداء جاء فيه · « ان هتلر العدو الذى اغتصب فرنسا قد هاجم الاتحاد السوفييتى · ومن الآن ·· على كل فرنسى يستحق شرف حمل هذه الجنسية أن يرى فى نفسه حليفا للاتحاد السوفييتى ··· ان كل انتصار للاتحاد السوفييتى على هتلر سيكون انتصارا لنا أيضا » (٣) .

ويقول فرناند جرينيه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى فى مذكراته :

« قبل ذلك اليوم لم ير حتى الفرنسيون الذين لم يفقدوا الى النهاية ايمانهم بالمستقبل ، القوة القادرة على قهر هتلر · اما الآن فلقد تغير الوضع ·· اذ تولد فى يوم الاحد المشهود الأمل الكبير فى قلوب ملايين الفرنسيين » (٤) .

---

(١) M. Sayers, A. Can. The Great Conspiracy. The Secret War against Russia. Boston, 1946, p. 390.

(٢) C. Hull Memoirs, vol. II, New York, 1942, p. 973.

(٣) L'Humanité, Ed. Spéciale (juillet, 1941).

(٤) ف. جرينيه ، هكذا حدث ذلك ، ١٩٦٠ ص ٨٣ .

كما وقف ديجول موقفا محددا ، بادراكه العميــق لمدى الدور الذى يمكن ان يؤديه الاتحاد السوفييتى فى الحرب ضد المانيا ، وبشكل أساسى باعتماده على مساندة الشعب الفرنسى .

وكان ديجول قد علم بمهاجمة المانيا للاتحاد السوفيتى أثناء قيامه بزيارة لدمشق ، وفى اليوم التالى مباشرة أى فى ٢٣ يونيو ، بعث الى ممثلى « فرنسا الحرة » فى لندن برقيــة هذا نصها : « يجب علينا ان نقف موقفا محددا تحديدا تاما بالنسبة للصدام بين المانيا وروسيا .. علينا ان نعلن كما أعلن تشرشل ، انه ما دام الروس يحاربون الالمان ، فاننا معهم دون قيد أو شرط .. وليس الروس هم الذين يطأون فرنسا ويحتلــون باريس وريمس وبوردو وستراسبورج ، وينهبون بلادنا ويفسدون فيها الاخلاق .. ان الطائرات والدبابات الالمانية والجنود الالمان ، التى يقضى عليها الروس والتى سيقضون عليها ، لن تستطيع فى المستقبل ان تعرقل نضالنا من أجل تحرير فرنسا . ارجــو ان تسارعوا فى توجيه دعايتنا الى هذا الاتجاه بالذات » .

ان اخبار هجوم المانيا الهتلرية على الاتحاد السوفييتى قد بعثت الامل فى القضاء على اخطار الفاشية فى قلوب الجماهير فى البلدان الاخرى ايضا .

ويكتب المؤرخ الايطالى الشيوعى باتاليا مستعرضا اثر تلك الاحداث فى سير الحرب العالمية الثانية : « ان دخــول الاتحــاد السوفييتى الحرب العالمية الثانية قد غير بعمق من طبيعتهــا ، كما ساعد على اظهار القوى الراسخة العزم على مواصلة النضال ضد الفاشية حتى النهاية ، فى كل البلدان » .

ولقد ادى دخول الاتحاد السوفييتى الحرب ضد المانيـــا الهتلرية الى زيادة نشـاط حركة التحرر الوطنى فى البـلدان المستعبدة فى اوروبا ــ الدانمارك وهولندا وبلجيكا والنرويج .

ان الهجوم الالمانى الغـادر على الاتحـاد السوفييتى قد ادى الى انفجار موجة شاملة من السخط ضد المغتصبين الفاشـست ، كما اطلق نضالا نشيطا للجماهير الشعبية فى مختلف البلدان من أجل مد يد العون الشامل للاتحاد السوفييتى .

ان الدعاية الهتلرية ، التى اسكرتها انتصارات الجيـوش الالمانية فى أوروبا ، قد بذلت كل ما فى وسعها من اجل ان تحوز الحرب ضد الاتحـاد السوفييتى قبـول الشـعب الالمانى . وأنى ذلك بنتائج معينة ، اذ أن القوات التى لقنت ان « الفوهرر يفكر لها » قد بدات بحماس الهجوم نحو الشرق .

وكانت صـحيفة « فولـكشير بيـوباختر » (المـراقب الشعبى) الفاشية ، تعكس الغطرسة الوقحة لاسيادها ، عندمـا نشرت يوم ٢٢ يونيو فى صدر صفحتها الاولى مقالا مطـولا تحت عنوان « مصير اوروبا فى ايدى جنودنا » . وكما يقول المؤرخون فى المانيا الغربية وخاصة القادة العسكريين فان هتلر كان واثقـا تماما من النصر العسكرى السريع الكامل .

وكانت الثقة فى النصر المؤزر ، عظمة الى حد انه فى بدايـة خريف عام ١٩٤١ ، قامت احدى الشركات السينمائية الدانمركية ـ الالمانية بالمساومة عن طريق المزايدة ، على حق « تصوير احتفال دخول هتلر الى الكرملين . أما اصحاب الاتيليهات الواقعـة فى ميدان اونتردين ليندن فى برلين ، فقد بداوا فى تأجير النـوافذ المطلة على الميدان الى الجماعات لتاريخ ١٥ سبتمبر ، الذى حدد للاحتفال برجوع « الفرسان المنتصرين » .

ولم يكن مقدرا لتلك الاحتفالات ان تقام . واشار الجنرال الهتلرى كورت تيبلسكريخ فى كتابه « تاريخ الحـرب العالميـة الثانية » الى انه : « فى ٢٢ يونيو .. وفى تمام السـاعة الثالثـة والنصف حسب التـوقيت الالمانى ، بدا الهجـوم المهلك على الشرق ... »

كما يعلن الجنرال بلومينتريت بدوره : « كان قرار مهاجمة تلك البلاد ، هو القرار المهلك الريسي من وجهة النظر السياسية وفي ذلك الحين كان علينا ان نقوم بمحاربة عدو أكثر قوة من الاعداء الذين قابلناهم حتى الان .. » ثم يقول : « باتخاذ هذا القرار المهلك (حول بدء الحرب ضد الاتحاد السوفييتى - المؤلف) ، خسرت ألمانيا الحرب كلها » .

وبالفعل ، فمنذ الأيام الاولى للحرب ، بدات القيادة الهتلرية في مواجهة حقائق وظواهر ، لم تكن مطلقا لتتنبأ بها سلفا . وكانت تلك المفاجآت عديدة وهامة لدرجة ان الثقة في النصر السريع اذا لم تكن حتى ذلك الوقت قد ضاعت بعد ، فانها على اى الحالات تزعزعت من الجذور . واذا استعرضنا الحقائق حينذاك ، فمن الممكن ان نكتشف الآتى : كتب القائد الالمانى جالدر في مذكرات عمله ، واصفا الموقف العام يوم ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ : « .. انتقل العدو الى الهجمات المضادة . ومما لا شك فيه ان تحركاته تضمنت الانسحاب التكتيكى .. لكنه لم يظهر اى أثر للانسحاب السريع » .

وفي ٢٤ يونيو ١٩٤١ . كتب جالدر : « يجب الاشارة الى صمود تشكيلات روسية معينة في القتال » .

لقد قامت قوات مجموعة جيوش « الشمال » على طول الجبهة تقريبا بصد هجمات مضادة قوية لدبابات العدو .

وعلى العموم فلقد أصبح من المفهوم الآن أن الروس لا يفكرون في التقهقر (الخطوط تحت السطور من وضع المؤلف) .

وفي ٢٦ يونيو عام ١٩٤١ . كتب جالدر : « تقوم مجموعة جيوش « الجنوب » بالتحرك ببطء الى الامام ، ومع الاسف ، تنزل بنا خسائر كبيرة .

وفى ٢٧ يونيو عام ١٩٤١ ، يقول جالدر « .. على الجبهة .. تتوالى الاحداث بشكل مغاير تماما للتخطيط السابق اعداده فى الهيئات العليا ».

وتجدر الاشارة هنا الى أنه فى بداية شهر يوليو ، بدأ شركاء هتلر فى الشرق الاقصى فى اظهار نشاط معين .

ففى ٢ يوليو ، اتخذ قرار فى اجتماع سرى للدوائر الحاكمة والعسكرية فى اليابان بحضور الامبراطور ، بالبدء فى حل « مشكلة الشمال » عند وجود الظروف المواتية . كما اشير الى اتخاذ اجراءات الاعداد للحرب ضد الاتحاد السوفييتى (مخطط « كونتوكوين ») ، وبدأ تعداد جيش كوانتون فى الازدياد .

وكان على الاتحاد السوفييتى ، لانه لم يستبعد امكان نقض اليابان لمعاهدة الحياد ، ان يحتفظ فى الشرق الاقصى بحوالى ٤٠ فرقة فى حالة الاستعداد . ولقد سهل هذا بالاضافة الى التوتر على الحدود السوفييتية التركية كثيرا من أعمال الجيوش الهتلرية .

وفى ٣ يوليو عام ١٩٤١ ، يصل جالدر فى مذكراته الى استنتاج واضح التسرع : « لن يكون من قبيل المبالغة اذا قلت ان الحملة على روسيا سوف نكسبها فى بحر اربعة عشر يوما ». وبالطبع فانها لم تنته بعد ، اذ ان المساحات الشاسعة من الاراضى والمقاومة المستميتة من جانب العدو ، الذى يستخدم كل الوسائل الممكنة سوف تنهك قوانا على امتداد أسابيع طويلة .

.. وفى حالة انتقال الحرب فى الشرق من مرحلة تحطيم قوات العدو المسلحة ، الى مرحلة الهزيمة الاقتصادية للعدو ، تنقل المهام اللاحقة للحرب ضد انجلترا ، التى يجب البدء فى تنفيذها دون ابطاء ، الى المرتبة الاولى مرة اخرى . وهذه المهام هى : الاعداد للهجوم عبر الاراضى بين نهرى النيل والفرات سواء عن

طريق برقة ، أو عن طريق الاناضول ، وربما من القفقاس عبر ايران ايضـــا .

ولكن جالدر بدأ يكتب فى ٤ يوليو عام ١٩٤١ : « ابلغتنـــا هيئة اركان مجموعة الدبابات التابعة لجوته انه قد تبقى لديهـا من الدبابات الصالحة للاســـتعمال ٥٠٪ فقط من مجمـــوع التشكيل . »

وفى ٦ يوليو عام ١٩٤١ يشير جالدر الى الخسائر الفادحة فى منطقة هجوم الفيلق التاسع والاربعين للمشاة الالية الجبلية .

وفى ٧ يوليو عام ١٩٤١ تظهر فى مذكراته السطور التاليـــة : « لقد تبخرت مرة اخرى الروح المتفائلة لقيادة الجيش الحادى عشر وتتاخر مرة اخرى عملية هجوم فيلق الجيش الحادى عشر » .

وفى الحقيقة فانه على الرغم من الاحباط الواضح لمخططات هتلر ، فانه لم يتخل هو وزمرته عن الامل فى الوصول الى نجاحات حاسمة . ويكتب جالدر نفســه فى ٨ يوليو ١٩٤١ : « ان القــرار الثابت عند الفوهرر كان وما زال هو تسوية موسكو ولينينجــراد بالارض ، للتخلص كليا من سكان هاتين المدينتـــين حتى لا تكون مجبرين فيما بعد على اطعامهم طول الشتاء .ويجب ان تســـند مهمة تدمير المدينتين الى الطيران ، ولن يكون من المناسب استخدام الدبابات فى هذه المهمة . وســوف يشــكل ذلك كارثة شـــعبية فلن تحـرم من هذين المركزين البلاشـفة وحدهم ، بل الروس عامة . » .

ولكن المقاومة الباسلة للجيش الاحمر ، قد ولدت لدى جالدر عدم الثقة فى ان تتمكن المانيا وحدها من الاجهاز على الاتحـــــاد السـوفييتى .

ويبدو ان هذا قد يكون السبب الذى جعل جالدر يشير فى يوميات ٩ يوليو الى انه « لم تتضح بعد نوايا اليابان ، فحتى الان

كنا نوجه اهتمام اليابان نحو سنغافورة (اى ضد انجلترا ـ المؤلف) ، ثم اخذنا فى تحويله ضد روسيا . وعلى العموم فان النتائج يمكن ان تظهر بعد مضى وقت معلوم » .

وفى نفس اليوم ، نشرت جريدة « نيبون » اليابانية مقالة جاء فيها ، دون اعتبار لمعاهدة الحياد السوفييتية اليابانية ، انه : « يجب ان يمر خط الدفاع الامامى لليابان فى الشمال من بحر كارا وعلى امتداد سلسلة جبال الاورال وبحر قزوين ثم جبال القوقاز وسلسلة جبال كردستان والخليج العربى حتى يصل عبر العربية السعودية الى عدن فى الجنوب . ان قيام مثل هذا الخط الدفاعى ضرورى للغاية من أجل وجود حلف بلدان الازدهار المشترك لشرق آسيا العظمى » .

وهكذا ، ونتيجة لضغط المانيا على اليابان ، اظهر الغزاة اليابانيون شهية يبدو انها لم تكن متوقعة فى برلين .

وليس هناك شك فى ان الجحافل الهتلرية لو كانت قد تمكنت من التوصل الى هزيمة القوات المسلحة السوفييتية على الجبهة الشرقية . لاسرع الغزاة اليابانيون فى التحرك ايضا الى الخط الذى سبق ان حددته جريدة « نيبون » . ولكن هذا لم يحدث ، اذ وقعت اول ازمة على الجبهة السوفييتية الالمانية .

ويعترف بذلك جنرالات هتلر السابقون ، اذ كتب تيبلسكيرخ فى كتابه « تاريخ الحرب العالمية الثانية » : « عندما لم يتم هذا (الهزيمة الكاملة للجيش الاحمر ـ المؤلف) بعد العمليات الاولى ، بدات اول أزمة كبرى فى الحرب » .

ولكن كيف تطورت الاحداث بعد ذلك ؟ . لم يظهر اى تحسين فى موقف الالمان . وكان جالدر المتحذلق أن يكتب فى يومياته ، كما فى السابق ، بجانب تسجيل النجاحات المتفرقة ، مثل هذه التسجيلات ايضا !

١١ يوليو عام ١٩٤١ : أ) تعمل قيادة العدو بمهارة ، ويقاتل العدو بقسوة وتعصب . ب) أصيبت تشكيلات الدبابات بخسائر فادحة فى الافراد والمعدات ، قواتنا مرهقة .. »

١٣ يوليو : مجموعة جيوش « الجنوب » . ان الامل فى التحرك السريع للفرقة الحادية عشرة للدبابات فى اتجاه « بيلايا تسيركوف » ظهر انه سراب .

تبلغ الخسائر فى الدبابات ٥٠٪ فى المتوسط .

١٥ يوليو : يكتب جالدر مرة اخرى عن المقاومة الضارية من جانب الروس ، وعن التخلى عن فكرة الاستيلاء على لينينجراد ، اذ تقرر الاكتفاء بحصارها .

١٦ يوليو : يظهر فى اليوميات تسجيل لبدء هجوم سبع فرق سوفييتية من منطقة جوميل على الجناح الأيمن لمجموعة جيوش « الوسط » .

١٧ يوليو : يشير جالدر الى هجوم القوات السوفييتية على جناح الجيش الثانى .

ونضيف انه فى الفترة من ٤ االى ١٨ يوليو قامت تشكيلات جيشنا الحادي عشر فى منطقة سولتسا ، بانزال ضربة مضـــادة بالفيلق الميكانيكى الالمانى السادس والخمسين . كما حاصرت قواتنا ودمرت الفرقة الثامنة للدبابات ، واجبرت باقى تشكيلات الفيلق على الانسحاب .

ويكتب الجنرال مانشتين فى كتابه « الانتصارات الضائعة » ، بشأن تلك الاحداث : « كان من غير الممكن القول بان موقف الفيلق فى هذه اللحظه يحسد عليه .. وكانت الايام القليلة التالية اياما

حرجة ، فقد حاول العدو بكل ما لديه من قوة المحافظة على طوقى الحصار » (1) .

ولكن بجانب هذا تم توجيه العديد من الضربات المضادة فى قطاعات الجبهة الاخرى ، التى كانت نتيجتها تكبيد العدو خسائر جديدة . كما تكبد الطيران الهتلرى خسارة فادحة . وعلى حد قول جريفرات العقيد الهتلرى السابق : « خسرت القوات الجوية الالمانية خلال الفترة من ٢٢ يونيو وحتى ٥ يوليو ، ٨٠٧ طائرات من كل الانواع ، اما خلال الفترة من ٦ الى ١٩ يوليو فكانت الخسائر ٤٧٧ طائرة » . ويستطرد قائلا ، « وعلى الرغم مما حققه الالمان نتيجة عامل المفاجأة ، فان الروس قد تمكنوا من ايجاد الوقت والقوة للقيام بالاعمال المضادة الحاسمة » .

ان التأخيرات العديدة فى التحرك نحو الهدف ، والعدول عن تنفيذ المخططات فى كل المواقع ، التى سببتها عمليات الهجوم المضادة والضربات المضادة من جانب الجيش الاحمر ، والخسائر الجسيمة فى القوات والمعدات الحربية قد أدت الى تحول حاد فى معنويات القيادة الهتلرية . ففى اليوم التاسع والعشرين من الحرب ، اى فى ٢٠ يوليو ، ظهرت سطور فى يوميات جالدر ، معناها واضح لا يحتاج لتعليق :

« ان ضراوة المعارك ، التى تخوضها تشكيلاتنا المتحركة والتى تعمل فى جماعات منفصلة ، والتأخر فى وصول فرق المشاة القادمة من الغرب الى الجبهة ، والبطء فى جميع التحركات تقريبا بسبب الطرق الرديئة بالاضافة الى الارهاق الشديد للقوات التى تقوم منذ اللحظة الاولى لبدء الحرب بمسيرات طويلة دون انقطاع ، والتى تشن معارك دموية عنيفة ـ كل هذا قد ادى الى هبوط

---

(1) N. Manstein, Verlorene Siege, Bonn, 1957, S. 197.

الروح المعنوية لعناصرنا القيادية . ولقد ظهر هذا بجلاء خاصة فى المعنويات المحطمة تماما للقيادة العامة للقوات البرية .. »

ويشهد الصحفى السويدى فريد بورج ان : « الجندى الالمانى قابل عدوا مستمسكا بعقيدته السياســـية باصرار متعصب ، ومواجها هجمات الالمان المفاجئة بالمقاومة الشاملة »

وهذه شهادة اخرى ، يكتبها ف . بيخت ، ممثـــل ادارة الدعاية الهتلرية : « ان الاجهـاد الذى لا يحتمـل فى المعـارك ، والمناخ القاسى ، ومفاجآت العدو التى ليس لها نهـاية ، قـد تجاوزت حدود قوة التحمل البشرية ، واصبح طريق النصر ، طريقا للقبـور » .

اخفاق هجوم القوات الالمانية الفاشية على موسكو . سقوط الخرافة عن الفيرماخت الذى لا يقهر

على الرغم من ان مقاومة الجيش الاحمر البطولية للغزاة الفاشست قد احبطت مخططاتهم . وادت الى تكبيدهم خسائر فادحة فى الافراد والمعدات ، فان الجيوش الهتلرية الجرارة قد تابعت اندفاعاتها نحو الشرق .

ولقد أولى العدو أهمية قصوى للاستيلاء على موسكو — عاصمة الاتحاد السوفييتى . ومعروف أن هتلر قد أعلن حينما بدأ الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ، أنه سيتم الاستيلاء على موسكو خلال أسبوعين أو ثلاثة اسابيع .

وكانت الثقة فى هذا كبيرة لدرجة ان الهتلريين كانوا قد اعدوا برنامجا موسعا للاحتفالات بمناسبة الاستيلاء على موسكو . ومنذ يوليو عام ١٩٤١ ظهر فى بعض الوثائق الالمانية وصف لاجراءات « احتفالات موسكو » فى المركز ، وفى مقر « الحاكم العام »(فى كراكوف) وفى الاماكن الاخرى . وكتب فى اللافتات التى تم اعدادها سلفا : « ايها الالمان ! علقوا الاعلام ، فلقد تم الاستيلاء على موسكو ! » . وكانوا قد اعدوا خطة مفصلة تتضمن تفاصيل دخول القوات الهتلرية الى موسكو . وكان من المعتقد ان خبر الانتصار سوف يعلنه الفوهرر بنفسه من الميدان الاحمر فى موسكو .

ولكن كان من نتيجة الاعمال البطولية للجيش الاحمر فى فترة معارك الحدود وفى المرحلة التالية ، ان تم احباط تلك

الخطط ، اما بالنسبة للالعاب النارية والعروض العسكرية ، فقد اضطر الفوهرر رغم انفه الى ارجائها الى اجل غير مسمى . ومع هذا فان العدو لم يتخل عن مخططاته . ولم يبخل بالجهد من اجل الاستيلاء على موسكو فى فترة قصيرة جدا . وتم تركيز القوات الرئيسية لمجموعة جيوش « الوسط » على الاتجاه الاستراتيجى الى موسكو وهى ـ ٧٧ فرقة من بينهـا ٢٢ فرقة من الدبابات والفرق الميكانيكية ، والاسطول الجوى الثانى ، وبلغ مجموعها اكثر من مليون جندى وضابط ، وما يقارب الفى دبابة ، وعددا لا يحصى من المدفعية والمعدات الاخرى وقـد تحركت كل هذه الجيـوش الجرارة الى موسكو فى ٣٠ سبتمبر ١٩٤١ .

ويكتب فون بوتلر الجنرال الهتلرى السابق ، متحـدثا عن هجوم مجموعة جيوش « الوسط » على موسكو : « كانت القيادة الالمانية وكل الشعب الالمانى ، يتابعان عملياتها يحدوهما الامـل الكبير ، اذ كان ينبغى لهذا الهجوم ان يقرر .. تماما نتيجة الحملة وبجانب هذا ، وهو ما كان يأمله الجميع ، ان يقرب كثيرا نهـاية الحرب كلها » .

وحشدت القيادة السوفييتية ايضا قوات ضخمة من المشاة، والدبابات والمدفعية وأنواع القوات الاخرى من أجل صـد هذا الهجوم . وكان المجموع العام للقوات التى اشتركت فى العمليات من الجانبين ١٥٠ فرقة ، واكثر من ٢٠ الف مدفع هاون ، وثلاثة آلاف دبابة وحوالى الفى طائرة . وانتشرت العمليات القتالية على مسـاحة شاسعة ـ ٧٥٠ كيلو مترا على طول الجبهة و ٤٠٠ كيلو متر فى العمـق .

ولقد أشـار هتلر فى امره للقوات قبـل الهجوم الى ما يلى : « تكونت أخيرا المقومات لتوجيه الضربة الضـخمة الاخيرة التى

يجب ان تؤدى الى القضاء على العدو قبل حلول الشتاء .. واليوم تبدأ المعركة الكبرى الحاسمة والاخيرة فى هذا العام » (١) .

وكان الأمر قد وصل الى حد ان اصبح المسئولون عن اسكان افراد القوات يضعون الخطط لاسكانها فى مناطق البيوت الريفية لضواحى موسكو ، أما هتلر فقد اكد لسفير اليابان ، انه يأمل فى أن يحتل العاصمة قبل ١٢ أكتوبر ، فى حين أن جوبلز قد طلب من الجرائد ان تترك مساحة خاصة فى أعدادها بتاريخ ١٢ اكتوبر للخبر الهام حول الاستيلاء على موسكو .

وفى الواقع كانت الضربة شديدة للغاية . ولقد تمكن العدو من اختراق الجبهة فى عدة اتجاهات ، وتمكنت الفصائل المتقدمة للعدو المهاجم من الوصول الى خط كالينين — صيتشيوفكا — كجاتسك — ميدين — متسينسك .

وخيم خطر جسيم فوق موسكو . وفرضت فى المدينة وضواحيها حالة الحصار .

الا انه نتيجة للدفاع المستميت ، المدعم بوحدات القوات المدنية (المتطوعين) لموسكو ، والعديد من الضربات المضادة من جانب الجيش الاحمر ، فقد تعثر هجوم أكتوبر للعدو .

والغيت مرة أخرى خطط ترتيبات احتفالات اقتحام المنتصرين لموسكو . وبدأ هتلر وهيئة أركان حربه ، الذين فقدوا صوابهم ، فى اعداد مخططات القضاء الوحشى على موسكو ، بدلا من اقامة الاحتفالات فيها . فلقد أمر هتلر فى أثناء اجتماع هيئة الاركان لمجموعة جيوش « الوسط » بأنه : « يجب أن يتم حصار المدينة بحيث لا يتمكن اى جندى روسى ولا أى ساكن فيها سواء أكان

(1) "Berliner Börsen-Zeitung", 3. x. 1941.

رجلا او امراة أو طفلا ــ من الخروج منها . وان تواجه وتخمد بالقوة كل محاولة للهرب ، وسوف تتخذ كل الاجراءات اللازمة لكي يتم اغراق موسكو وكل ضواحيها بالماء بواسطة تدابير ضخمة . وانه يجب ان يشغل الرقعة حيث توجد موسكو الان ، بحر كبير يخفي من الان والى الابد عاصمة الشعب الروسي عن أعين العالم المتحضر » (١) .

ثم قرر الفوهرر المحتدم غيظا ، بعد أن اقتنع بأن المخطط لا يمكن تحقيقه ، أن ينتقم من موسكو بطريقة اخرى . فلقد جاء في توجيهات القائد العام للقوات البرية رقم ١٥٧ ــ ٤١ بتاريخ ١٢ اكتوبر عام ١٩٤١ ، ما يلي : « قرر الفوهرر من جديد أن استسلام موسكو لا يجب قبوله حتى اذا اقترح العدو ذلك ...»

و ... ان كل من يحاول الخروج من المدينة ، ويسير عبر مواقعنا يجب اطلاق النار عليه وارجاعه مرة أخرى . ولا يجوز أن تترك مفتوحة الا ممرات العبور الضيقة التي تعطي فرصة للهجرة الجماهيرية للسكان الى داخل روسيا ، فقط ...»

فكلما اندفع سكان المدن السوفييتية الى داخل روسيا اكثر فأكثر ، ازدادت حدة الفوضى في روسيا ، وأصبحت ادارة المناطق الشرقية اسهل وكذلك استغلالها » . كما تم انشاء « قوة المؤخرة الخاصة لمدينة موسكو » .

وفي هذه الايام الحرجة اتجه اهتمام العالم كله الى موسكو المحاربة . وكان الكل يدرك انه في حالة نجاح الجيوش الهتلرية ، فسوف يتدهور الموقف العسكري للحلفاء تدهورا شديدا .

---

(1) Offiziere gegen Hitler. Nach einem Erlebnicbericht von Fabian von Schlabrendorff, Zurich, 1946, S. 48.

وفى ١٩ اكتوبر اعلنت جريدة « نيوز أوف ورلد » قراءها بالتفصيل بالموقف على الجبهة واعربت عن ثقتها فى أن موسكو سوف تدافع عن نفسها حتى النهاية .

« يشارك كل القادرين على العمل من الرجال والنساء فى الاعداد النهائى للدفاع » .

« ان مثل هذه الروح وتلك الاستعدادات توضح الفرق بين موسكو فى اكتوبر عام ١٩٤١ وباريس فى يونيو من العام الماضى » ولم يسمع اى صوت ينادى بالاعلان عن العاصمة كمدينة مفتوحة ... »

وتشير الجريدة بعد ذلك الى الحقيقة التالية : « ان ما حدث فى بداية هجوم الالمان على موسكو ، من ازمة فى الوزارة اليابانية ، لهو بادرة شؤم . ان وضع روسيا خطير كما لم يكن من قبل ابدا ... ومن الواضح انه قد اسند لليابان فى الشرق نفس الدور الذى تلعبه ايطاليا فى الغرب » .

ان طوكيو مثلها فى ذلك مثل روما ، عازمة على اغتنام اكثر اللحظات ملاءمة من أجل الاقدام على الحرب نهائيا » .

وفى ٢١ اكتوبر كتب معلق جريدة « نيوز كرونيكل » ا.كامينجس : ان الروس يواصلون الدفاع عن موسكو (ولندن) برباطة جأش وعزم ثابت .

اننى لا اصدق ان هتلر سيقدر على كسر المقاومة المنظمة فى روسيا .

ان الراى العام معبأ فى صالح العون العسكرى المباشر لروسيا ، بعبارة اخرى فان الراى العام يحث على فتح الجبهة

الثانية ، جبهة لا نظير لها منذ لحظة البداية للحرب مع ألمانيا .
ولا أشك فى أن الحكومة تعرف هذا ...

... ولم يفت الوقت كى نتخذ قرارا ونبدأ العمل . ويحدونى أمل غير ضعيف ، فى أن هيئة القيادة العسكرية ، التى لا أشك فى أمانتها ، سوف تبدأ فى المستقبل القريب بتنفيذ هجوم جيد الاعداد (1) .

ولقد بعث الهجوم على موسكو شعور القلق فى الولايات المتحدة الامريكية أيضا ، فأعلن بات ممثل وزارة الدفاع الامريكى بالراديو فى ٢ مايو عام ١٩٤١ فى دعوته لزيادة المعونة العسكرية للاتحاد السوفييتى ، أنه فى حالة هزيمة الاتحاد السوفييتى سوف تصبح بعد ذلك انجلترا وامريكا وجها لوجه امام أكبر آلة عسكرية فى العالم هى ألمانيا الهتلرية .

---

(1) "News Chronicle" ١٩٤١/١٠/٢١ . فى الوقت الذى كان فيه العدو يقذف بقوات جديدة وجديدة على الجبهة الشرقية ، كان الجنرالات السوفييت يفكرون لا فى كيفية ايقاف هجوم العدو المسعور ، ولكن أيضا فى طرد الفاشست من اراضينا ثم مطاردتهم حتى برلين نفسها ، وذلك بالرغم من كل صعوبة الموقف . وفى هذا الشأن نشير الى واقعة ليست كبيرة من حيث الشكل ولكنها على جانب كبير من الاهمية من حيث المضمون . اذ كتب قائد الجيش السادس عشر الجنرال ك.ك. روكوسوفسكى ، على نسخة خريطة الميدان الخاصة بمراسل صحيفة « النجم الاحمر » الموجه السياسى ب.ا. ترويانوفسكى وبناء على رجاء الاخير فى ٢٩ اكتوبر عام ١٩٤١ الكلمة التذكارية التالية : « الى مراسل صحيفة « النجم الاحمر » والموجه السياسى ب.ا. ترويانوفسكى – يجب أن نفكر فى برلين اثناء القتال فى ضواحى موسكو . ان القوات السوفييتية ستدخل حتما برلين ! ضواحى موسكو فى ٢٩ أكتوبر عام ١٩٤١ – ك. روكوسوفسكى » . أما فى أول مايو عام ١٩٤٥ ، فقد كتبت على الخريطة نفسها سطور اخرى : « اعلن بكل ارتياح اننا اصبحنا فى برلين . رئيس هيئة أركان حرب الجيش السادس عشر ، ورئيس هيئة أركان حرب الجبهة حاليا – م. مالينين ، برلين – ١ مايو عام ١٩٤٥ » .

كما ورد فى خطاب روزفلت الى نائب وزير الخارجية الامريكية ستيتينيوس بتاريخ ٧ نوفمبر ما يلى « ... ان الدفاع عن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية هو فى الواقع امر ذو أهمية للولايات المتحدة » (١) .

وكتبت صحيفة « الديلى تلجراف » فى ١٠ نوفمبر ما يلى : « من الواضح أن الاسابيع القليلة القادمة سوف تؤدى الى اجهاد عصبى استثنائى . ان ازمة الحرب تقترب من الجبهة السوفييتية الالمانية مع كل ما يتفرع عنها من عواقب بالنسبة للشرق الاوسط وكل استراتيجيتنا » .

ولكن العدو اخذ يترنح تحت ضربات القـوات السوفييتية ، وقد غرق فى دمائه . ولقد أجبر الالمان على التوقف بعد أن وصلوا الى خط كالينـين ـ فولوكولامسك ـ نارو ـ فومينسـك وفى منطقة تولا .

وفى ١٦ نوفمبر فقط ، وبعـد أن استدعيت قوات جديدة ، وتم التزود بالذخائر والوقود ، بدأ العدو هجـوما جـديدا على جبهة اضيق من تلك التى كانت فى اكتوبر . وتم لهذا الهجوم اعداد ٧٢ فرقة منها ٢١ فرقة دبابات ، وتضمن مخطط الهجوم ، حصار موسكو بتجمعات ضاربة من الدبابات ، ثم الاستيلاء والقضـاء عليها . هكذا ببساطة ووضوح . ويعقب ذلك راحة وترفيه وما الى ذلك .

ولقد حشا الهتلريون رؤوس جنودهم بكل ذلك . وكان الكثير منهم يؤمن بانهاء هذا الهجوم بالنصر وبانتهاء الحـرب لدرجة أن تضمنت رسائلهم ، ما كانوا يأملون عمـله فى عاصـمة الاتحـاد السوفييتى .

---

(1) Documents of American Foreign Relations, 1941-1942, vol. IV. p.

ومن اجل ان يثير هتلر حماس القوات ، اصدر نداء خاصا الى قوات الجبهة الشرقية ، وقد طالب فيه « نظرا لأهميـة الأحداث المرتقبة وخصوصا فى الشتاء ، ورداءة عمليات امداد الجيوش .. فانه يجب الانتهاء من موسكو العاصمة فى أقرب وقت ممكن » .

لقـد كانوا يقنعون الجنود ويتملقونهم « .. أيهـا الجنـود ! أمامكم موسكو . ان كل عواصم القارة كانت تحنى رؤوسها امامكم خلال عامين من الحرب . وكنتم تسيرون فى شـوارع أحسن المدن . وبقيت موسكو . اجبروها على الركوع ، عرفوها بمقدرة أسلحتكم ، سيروا فى ميادينها . ان موسكو هى نهـاية الحرب ، والراحة . الى الامام ! » .

ولم يستطع أى من هذا أن يحدث اثرا . فقد ظهر ان العامل الحاسم ، لم يكن أوامر الفوهرر ، ولكن الاعمال البطولية للقوات السوفييتية والطيران السوفييتى والشعب السوفييتى .

واستمرت كل صحافة العالم فى التعليق على المعارك الشديدة على الجبهة السوفييتية الالمانية .

فمثلا ، فى الايام الاولى لبـدء النضـال من اجل موسـكو ، أشار اليوت المعلق الامريكى بمنتهى الذكاء ، الى أنه على الشعب السوفييتى أن يصمد فقط كى يحقق النصر ، بينما على هتلـر ان ينتصر كى يصمد . أما الروس فقد صمدوا .

كما اعلن السنـاتور ودروم ، فى خطابه فى مجلس الشـيوخ الامريكى فى اواخر شهر نوفمبر : « ان بعضكم ايها الاصدقاء ، ممن يقلقهم احتمال دخول امريكا الحـرب ، يستحسن ان يفهموا ان الروس حتى الآن هم القوة الوحيدة القادرة على اعاقة أو ايقاف القطعان الهتلرية » (١) .

---

(1) Congressional Record, 77-th Congress, vol. 87, part 7, p. 7763.

ولقد عانى العدو ، نتيجة للاعمال الناجحة للقوات السوفييتية على الجبهة العريضة من كالينين حتى يليتس ، أول هزيمة ضخمة فى مسار كل الحرب العالمية الثانية . اذ تم تحطيم فرقة دبابات ، و ٤ فرق ميكانيكية ، و ٢٣ فرقة مشاة من مجموعة جيوش « الوسط » ، كما تكبدت القوات الباقية خسائر فادحة فى الافراد والمعدات .

وتحملت القوات الالمانية الفاشية خسائر جسيمة : حوالى نصف مليون قتيل أو جريح مات متأثرا بجراحه فى المعارك ، أو اسير ، أو أشخاص تجمدوا من البرد . كما تم الاستيلاء على ١٣٠٠ دبابه وحوالى ٢٥٠٠ مدفع ، واكثر من ١٥ الف وحدة نقل والكثير من الأسلحة والمعدات الحربية الاخرى .

ولقد انعكس الهجوم المضاد للجيش الاحمر عند ضواحى موسكو ، على ما تضمنته خطابات المحاربين الالمان الفاشست فى اكتوبر وبداية نوفمبر من الشكوى المريرة من قسوة المعارك مع الروس ، كما ان آمال الاستيلاء على موسكو مهما كان الامر ، قد استبدلت بأفكار أكثر تشاؤما .

وتضمنت الخطابات المكتوبة على عجل ، وتسجيلات اليوميات بعد ٥-٦ ديسمبر اعترافات بقوة ضربات القوات السوفييتية ، ومقدرة اسلحتنا ، والصفات الحربية لجنودنا وضباطنا . واليكم بعض المقتطفات منها : « بدأت عمليات تقهقر فرقنا فى الخامس من ديسمبر . ولم يكن هذا تقهقرا بل هروبا ، اذ كانت هجمات الروس فجائية بدرجة اننا ألقينا المدافع والذخائر وباقى السلاح » (من شهادة الجندى الاسير أوسكار روميل) » .

« ... زوجتى العزيزة . هنا الجحيم بعينه . ان الروس لا يرغبون فى مغادرة موسكو . ولقد بداوا الهجوم . ان كل ساعة تجلب معها اخبارا مريعة لنا . ان الطقس بارد بدرجة تتجمد

معها الروح . ومن المستحيل الخروج مساء الى الشارع ، فهناك ـ القتل . اتوسل اليك ان تكفى عن الكتابة الى بشأن الحرير والاحذية المطاطية التى كان يجب على أن احضرها لك من موسكو . ولتعلمى ـ أننى أحتضر هنا ... » (من خطاب الجندى أدولف فورتهايمر من فوج المشاة رقم ٨٢ فى ٦ ديسمبر عام ١٩٤١) .

« ... فلينج بنفسه كل من يستطيع ! ان الجيش المحطم الذى اختلط فيه الحابل بالنابل ينسحب . لقد طاش صواب الافراد . والخسائر جسيمة . الظاهر ان نابليون كان قد انسحب بجيشه هكذا » . (من يوميات المساعد بلاتسير من السرية الثانية فى الفرقة الالمانية الثانية والاربعين المنفردة المضادة للدبابات) .

هذه هى الشواهد عن الاحداث فى ميدان القتال . وطبعا قد تضمنت بعضها مبالغة لا بد منها فى تقدير الخطر نتجت من تأثير الهلع ، اما فى البعض الآخر فهناك تزيد متعمد فى صيغ الاحداث من اجل اظهار شجاعة وبطولة كاتبيها امام من ارسلت اليهم تلك الشواهد . ومع هذا فان الحقائق المعتدلة بين هذه وتلك ترسم صورة واضحة بدرجة كافية لضخامة ضربة القوات السوفييتية ، والكفاءة العالية للتسليح السوفييتى : من هاونات ، ومدفعية وطائرات ودبابات . وبجانب ذلك فان تلك الخطابات تبين طابع هبوط الروح القتالية عند جنود العدو ، وافتقادهم للايمان فى تحقيق النصر .

ولكن ما هو راى الجنرالات الالمان فى هذا الشأن ؟

فى ٨ ديسمبر عام ١٩٤١ . كتب جالدر فى يومياته :

« ان مجموعة الجيوش ليست فى وضع يسمح لها بالقيام بهجوم ضخم على أى قطاع من الجبهة . أن قوات الجناح الايسر فى مجموعة جيوش جودريان والجناح الايمن لجيش كلوجه تثير مخاوف كبيرة . اما قوات الفيلق الثالث والاربعين للجيش ،

فهى فى حالة تمكنها فقط من ابداء مقاومة للعدو ليست بالكبيرة ... اما اذا بدأ العدو فى هجوم كبير ، فمن الصعب الان مجـرد التنبؤ بعواقبه » . ولا تحتاج هذه التسجيلات التى كتبها رئيس هيئة أركان حرب القوات البرية ، الى أى تعليق .

وبعد الحرب أدلى الجنرالات الهتلريون بعـدد غير قليل من أمثال تلك الاعترافات . اذ كتب الجنرال ك . تبيلسكريخ القـائد السابق لادارة مخابرات القوات البرية فى فترة معركة ضـواحى موسكو : « ان العملية السريعة التى كان محتما عـلى روسـيا السوفييتية أن تنهزم فى أثنائها » قد فشلت .

اما الجنرال جودريان ، الذى أصبح فيما بعد رئيس هيئـة أركان حرب القوات البرية ، فيقول : « لقد فشل الهجـوم على موسكو ... وعانينا من هزيمة شنعاء ، أدت فى الاسابيع التالية الى عواقب مريعة » (١) .

كما يعترف الجنرال ج. لبيومينتريت ، الرئيس السابق لهيئة أركان حرب الجيش الالمانى الرابع الميـدانى ، بأن الهزيمة عند ضواحى موسكو كانت « هزيمة ضخمة للقوات الالمانية » .

وحسب ما جاء فى كلمات فوللر المؤرخ الحـربى الانجليزى : « كانت القيادة (قيادة الجيش الالمـانى ـ المؤلف) قد دمـرت بكل معنى الكلمة ... ولم يسبق أن حدث مثـل هـذا الاندحار للجنرالات منذ معركة مارنا » .

ولقد خرج الفوهرر نفسه تحت تأثير ما حدث ، عن عهـده بالتزام الصمت حول أخبار الهزائم فى الشرق ، فلقد كان مضطرا فى خطابه الذى القاه فى برلين بتاريخ ٣٠ ينـــاير ، لأن يعترف

---

(١) H. Guderian. Brinnezungen eines Soldaten. Heidelberg 1951. S. 255.

بهزيمة القوات الالمانية على الجبهة السوفييتية الالمانية ، وظهر جليا انه لا يمنى نفسه بالامانى المعسولة ، عندما اعلن انه لا يدرى بأى شكل سينتهى عام ١٩٤٢ ، ولا متى ستنتهى الحرب » .

ان الهجوم المضاد الذى قام به الجيش الاحمر فى ضواحى موسكو قد هز الآلة العسكرية الهتلرية من أعماقها ، وكان بمثابة انذار خطير لمن كان ينوى الانضمام الفعال الى جانب هتلر .

لقد امتلأت الصحافة العالمية بأصداء الاعجاب بالهجوم المضاد ، وقيمة الانتصار عند ضواحى موسكو ، وببطولة الجيش الأحمر وكل الشعب السوفييتى .

ففى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤١ . كتبت « التايمس » فى مقالتها الافتتاحية : « على الرغم من اهمية الأحداث الجارية فى الشرق الأقصى والمحيط الهادى ، بالنسبة للامبراطورية البريطانية وللولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى الرغم من انه يمكن اتهامنا بأن اهتماماتنا فى هذه اللحظة مقيدة بتلك الأحداث اكثر من اى شىء آخر ، فاننا مع كل هذا لا ننسى ان روسيا ما زالت هى الميدان الرئيسى للحرب .

فهناك يوجد الجانب الرئيسى من الجيش الألمانى . وعلى هذه القوة الجبارة ، تعتمد كل العمليات الأخرى لالمانيا وحلفائها » .

اما صحيفة « وست لندن ابزيرفر » ، فقد اعترفت فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٤١ بأنه : « قد ادهشتنا المقاومة الروسية ، لأننا لم نكن نعرف الحقائق ، حيث انه خلال العشرين سنة الأخيرة ، كانت صحافة بلادنا تنشر تصورات كاذبة عن روسيا » .

وفى نفس اليوم . نشر على صفحات الديلى تلجراف « تعليق عن الموقف على الجبهات ، ادلى به تشرشل . ومما جاء فيه انه :

« منذ ستة اسابيع أو شهر مضى ، كان الناس يسألون أنفسهم ؛ هل سيتم الاستيلاء على موسكو أو لينينجراد فى الشمال ؟ ؛ وهل سيحتل الألمان القفقاس ويستولون على مركز صناعة البترول فى باكو ؟ وكان علينا ان ندرس مسائل تتعلق بما يجب علينا ان نعمله من أجل الاستعداد للدفاع عن الجبهة الطويلة من بحر قزوين حتى البحر الابيض المتوسط .

ومنذ ذلك الحين حدثت تغيرات عجيبة وجلية ، اذ اتضحت الآن المقدرة الجبارة للجيوش الروسية ، والشجاعة والطاقة المجيدتين اللتين ابدتهما الجيوش فى مقاومتها لهجوم العدو المخيف ... »

لقد توقفت جيوش هتلر فى كل مكان . واخذت تتراجع فى القطاع الأكبر من الجبهة . ولا يمكن وصف ما تعانيه جيوشه ، كما أن خسائره فادحة » .

- وبعد ثلاثة أيام كتبت « التايمس » : « لقد اعطى الجيش الأحمر فى ٦ ديسمبر برهانا ساطعا على شجاعته واستبساله ، عندما بدأ ، بعد مثل هذا الاختبار القاسى ، فى الهجوم على طول جبهة موسكو ... لقد كانت موسكو اكبر امتحان ... لقد كانت موسكو مباراة ، اظهر فيها الروس أنفسهم بمستوى لياقة احسن من عدوهم » .

ان هذه حقيقة لا يمكن اخفاؤها !

كما كتب كامينجز معلق صحيفة « نيوز كرونيكل » فى ١٩ ديسمبر ما يلى : « ما زال الهجوم الروسى على الجبهة العريضة مستمرا . ولقد تحول هذا الهجوم الى خطر على كل الجيوش الألمانية فى الشرق . ولسوف ينمو ذلك الخطر » .

انني ابدى ، بجانب ملايين المواطنين البريطانيين ، للجيوش الروسية والشعب الروسى ما يستحقونه من احترام . اذ انهم قد بينوا لكل الألمان كيف يمكن محاربة العدو « الذى لا يقهر » .

ولقد أعطت صحيفة « التايمس » فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٤١ تقييما جليا لاحداث الجبهة الشرقية اذ كتبت تقول : « لن يكون من قبيل المبالغة اذا قلنا ان النجاحات التى توصلت اليها الجيوش الروسية على طول جبهتها الضخمة ، هى انتصار عظيم يزيد من أهميته انه تحقق بواسطة جيوش صمدت خلال ستة أشهر أمام أكثر الهجمات ضراوة لأقوى الآلات العسكرية التى انشئت فى اى زمان بواسطة « قاهرى العالم » . ولقد تحقق هذا النصر بفضل فن وصمود القيادة الروسية العليا ، والبطولة التاريخية للجندى الروسى وانكار الشعب الروسى لذاته .

ان معارك الجبهة الشرقية هى عصب الحياة فى الحرب كلها ، اذ يعتمد كل شىء عليها فى نهاية الامر » .

وفى ٨ يناير عام ١٩٤٢ . نشرت صحيفة « نيوز كرونيكل » على صفحاتها مقالا للصحفى الانجليزى فيليب دجوردان الذى عاش ستة أشهر فى الاتحاد السوفييتى . جاء فيها : « تمكنت خلال ستة اشهر من مراقبة الجيش على الجبهة وفى المؤخرة ، وأستطيع القول انه حتى فى أصعب الأيام لم الحظ غير الايمان العميق فى الانتصار الحتمى مهما بلغ ثمنه . ولم أشهد مطلقا جيشا أحسن تسليحا ، او يبذل من أجله اهتمام اكبر مما يبذل من اجل الجيش الاحمر » .

ولقد تحدث نجلى فارسون مراسل صحيفة « الديلى ميل » فى موسكو بحرارة منقطعة النظير عن المواطنين السوفييت . واليكم ما سرده من انطباعات عن تنقلاته : « كانت عربة القطار ممتلئة بالضباط الطيارين الروس . وكان ثلاثة منهم يحملون

وسام لينين ، أعلى أوسمة الاتحاد السوفييتي . وبدأوا يطرحون على أكثر الأسئلة عجبا : « هل قرأت لبيرون ؟ » و « اى الشاعرين اجود : بيرون أم شيللى ؟ » . لقد توهجوا جميعا حيوية عندما بدأنا الحديث عن الشعر . كما وجدت ان هؤلاء الطيارين القاتلين والقاذفين الروس ، يعرفون من الشعر الانجليزى أكثر مما سوف أعرفه فى أى وقت » (١) .

واستمرت الصحافة الانجليزية لوقت طويل فى نشر مواد حول الهزيمة الضخمة للجيش الهتلرى فى روسيا . كما استمر المراسلون فى التأكيد على أن « القوة الهجومية للجيش الالمانى لم تعد تلك القوة التى كانت له فى صيف عام ١٩٤١ ، وفى الوقت الذى نمت فيه المقدرة القتالية للجيش الاحمر » (٢) .

ويمكن أن تكون البرقيات والمراسلات والخطب الخاصة بزعماء الدولة ورجالات المجتمع فى البلدان المختلفة ، وما نشرته صحافة تلك البلدان ــ شاهدا جليا على الرنين الذى احدثته موقعة ضواحى موسكو . وتابع تشرشل ، عندما كان قلقا للغاية على مستقبل الحرب ، بلا وهن وضع الأمور فى الشرق ، وأعرب أكثر من مرة فى تلك الفترة عن اعجابه بشجاعة الجيش الأحمر .

واليكم بعضا من مراسلاته لستالين فى تلك الفترة . كتب فى ١٢ اكتوبر عام ١٩٤١ : « لا يمكن للكلمات أن تعبر عن شعورنا تجاه نضالكم البطولى الهائل ــ واننا لنأمل أن نبرهن عن هذا الشعور بالاعمال فى المستقبل القريب » . وكتب فى ٥ ديسمبر : « اسمحوا لى أن أغتنم هذه الفرصة لاعبر لكم عن مدى الاعجاب الذى يتابع به الشعب البريطانى كله الدفاع المستبسل عن

---

(١) "Daily Mail." 15. I. 1942,

(٢) "Times," 29, I, 1942,

لينينجراد وموسكو من جانب الجيوش الروسية الشجاعة ، وكم يغمرنا جميعا السرور بانتصاركم الباهر فى رستوف » .

وعندما سافر تشرشل الى واشنطون فى اواسط ديسمبر ، لمقابلة روزفلت كما جرت العادة ، ولمناقشة الموقف بشأن بدء الحرب فى المحيط الهادى كتب لستالين ما يلى : « لا يمكن وصف ذلك الشعور بالارتياح الذى يغمرنى عندما اسمع يوميا الى انباء انتصاراتكم الباهرة على الجبهة الروسية . ولم اشعر فى نفسى مطلقا بهذا القدر من الثقة فى نتيجة الحرب » .

ولقد كتب تشرشل لستالين فى ١٥ يناير ، عندما كان فى الولايات المتحدة : « أن الصحافة هنا تمتلىء بالاعجاب بالجيوش الروسية . اسمحوا لى ايضا ان أعبر عن اعجابى بانتصاراتكم المجيدة التى هى وسام الجدارة للقيادة ، وللقوات المسلحة السوفييتية جزاء تفانيها » .

وفى ٢٣ فبراير وجه تشرشل لستالين تهنئة بمناسبة العيد الرابع والعشرين للجيش الأحمر ، جاء فيها : « ... انقل لكم ... ولكل افراد القوات المسلحة السوفييتية التعبير عن الاعجاب والشكر ، اللذين تكنهما لها كل شعوب الامبراطورية البريطانية التى تتابع مآثر قواتكم المسلحة ، وعن ايماننا بنهاية النضال المكللة بالنصر ضد العدو المشترك ، التى ننتظرها جميعا » .

أن تشرشل هو صاحب هذه الكلمات أيضا : « لقد قصمت مقاومة الروس ظهر الجيوش الألمانية » (١) .

---

(1) W. Churchill. Op. at. Vol. III. p. 352.
W. Churchill, War Speeches, Vol. III. London 1943, p. 63.

وليس ثمة شك ، فى أن مثل هذا الفيض من الاعراب عن الاحترام للجيش الأحمر وعن الامتنان للاتحاد السوفييتى جزاء ما قدمه من رصيد ضخم للقضية المشتركة ، قد بعثته اعتبارات حالة الجو العسكرى والسياسى والرغبة فى تغطية المساعدة المحدودة إلى الاتحاد السوفييتى بعبارات المجاملة فقط ، ولكنه جاء أيضا نتيجة تطور الاحداث المستمر على الجبهة السوفييتية الالمانية ، تلك الاحداث التى كان من المستحيل متابعتها دون انفعال له ما يبرره .

ولم يظل روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعيدا عن الاهتمام بالأحداث . اذ كتب فى رسالته لرئيس مجلس مفوضى الشعب فى الاتحاد السوفييتى التى وصلته فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ، ما يلى : « أحب أن أخبركم مرة أخرى عن الحماس الأصيل والشامل فى الولايات المتحدة بمناسبة نجاحات جيوشكم دفاعا عن أمتكم الخالدة » .

وكتبت فى نفس اليوم صحيفة « ستار » احدى صحف واشنطون ، كأنها تتابع أفكار روزفلت : ان النجاحات التى وصل اليها الاتحاد السوفييتى فى نضاله ضد ألمانيا الهتلرية لها أهمية كبرى لا بالنسبة لموسكو وكل الشعب الروسى فحسب ، ولكن بالنسبة لواشنطون ولمستقبل الولايات المتحدة أيضا ». ولسوف يذكر التاريخ الروس بما يستحقونه لا لأنهم أوقفوا الحرب الخاطفة فحسب ، بل لأنهم استطاعوا أيضا أن يجبروا العدو على الهرب » .

ولدى استعراض الأحداث فى كل من أوروبا والمحيط الهادى ، حيث شنت اليابان حربها ضد الولايات المتحدة فى ٧ ديسمبر عام ١٩٤١ ، أجمعت الصحيفتان الأمريكيتان « نيويورك تايمس » و « نيويورك هيرالد تريبيون » فى ٣ يناير عام ١٩٤٢،

على أن النجاحات السوفييتية تعوض الهزيمة فى المحيط الهادى » .

وكتبت صحيفة « النيويورك تايمس » ما يلى : « يجب على الامريكيين ان لا يسمحوا بأن يطغى القلق الذى غمرهم نتيجة للموقف فى المحيط الهادى ، على حقيقة ان هتلر عانى أكبر الهزائم على الجبهة الروسية ، أهم جبهة فى القتال » . وفى الختام أشارت الصحيفة قائلة « أن هزيمة الالمان والهجوم الناجح للروس يمحوان اثر الاحداث التى وقعت فى الميدان البعيد للعمليات العسكرية فى المحيط الهادى » .

وفى ٢٠ يناير أذاع الجنرال ديجول بيانا عن طريق راديو لندن ، جاء فيه : « أن الشعب الفرنسى ليقدم تحية الاعجاب بنجاحات ونمو قوة الشعب الروسى ، اذ أن هذه النجاحات تقرب فرنسا من هدفها المأمول ـ فى الحرية والثأر . ان وفاة كل قتيل أو متجمد بالصقيع من الجنود الألمان فى روسيا ، وتحطيم كل مدفع وطائرة ودبابة ألمانية فى المساحات الواسعة من ضواحى ليننجراد أو موسكو أو سباستبول ، لتمنح فرنسا فرصة اضافية فى أن تنهض من جديد ثم تنتصر .

ومع شديد الأسف لقد وقفت العوائق أو الأعمال المعادية التى ولدتها الدسائس أو سوء الفهم على مدى مئات السنين عقبة على طريق التحالف الفرنسى ـ الروسى . وعلى الرغم من ذلك فان ضرورة اقامة ذلك التحالف تتضح مع كل تحول جديد فى التاريخ .

ولهذا السبب ، فان « فرنسا المحاربة » سوف توحد جهودها التى بعثت من جديد مع جهود الاتحاد السوفييتى » .

وقد كتب الجنرال ديجول فى برقيته فى ٢٥ فبراير عام ١٩٤٢ بمناسبة العيد الرابع والعشرين للجيش الأحمر ما يلى :

« بعد المقاومة الرائعة التى أبداها الجيش الأحمر فى مواجهة الهجمات المسعورة للقطعان الألمانية ، مظهرا فيها روحا هجومية مهيبة ، يقوم الجيش ، دون توقف ، بمطاردة الغزاة من الأراضى السوفييتية ... ان الجيش الاحمر هو احدى الادوات الرئيسية لتحرير الشعوب المستعبدة » .

وفى ١٦ مارس عام ١٩٤٢ ، القى اللورد هاليفاكس ، أحد المبادرين لاتفاق ميونيخ مع هتلر ، فى أحد النوادى الاقتصادية فى نيويورك ، خطابا أعلن فيه : « ان روسيا تلقت بنفسها ، خلال التسعة أشهر الأخيرة ، وعلى جبهة تمتد بضعة آلاف من الأميال ، كل قوة ضربات الجيش الالمانى . ان جرأة جيشها المنظم ، وأعمال فصائلها الشجاعة ، التى عملت فى المؤخرة الألمانية ، وبطولة الطيارين الروس ، ورباطة الجأش الرائعة للسكان المدنيين فى روسيا السوفييتية قد ضربت لنا جميعا أروع الأمثال ... » .

ولقد اضطر المعلق العسكرى والمؤرخ الانجليزى فوللر ، الى الاعتراف فى تقييمه لنتائج وعواقب الهجوم المضاد للجيش الأحمر عند ضواحى موسكو بأن « هذه الحملة قد أعطت لبريطانيا « الفترة اللازمة لالتقاط الانفاس » ، سواء فى الجزر البريطانية أو فى الشرق الأوسط ، وذلك من أجل اعادة تنظيم قواتها المسلحة . ولقد اعفى الانجليز فى مصر من خطر الحرب على جبهتين » !

وفى فبراير عام ١٩٤٢ كتب الجنرال الامريكى المعروف ماك ـ آرثر ما يلى : « لقد اشتركت فى حياتى فى عدة حروب ، وراقبت حروبا أخرى ، ودرست بالتفصيل حملات القادة العسكريين فى الماضى . ولكننى لم اجد مثل هذه المقاومة الفعالة بأقوى الضربات التى انزلت على عدو كان مكللا بالنصر ، تلك المقاومة التى اعقبها هجوم مضاد القى بالعدو الى الخلف ، الى أراضيه

نفسها . ان عظمة وتألق تلك المجهودات لتجعلها من اكبر الانجازات العسكرية فى التاريخ » (١) .

ان تلك الاصداء التى أوردناها لتشهد بجلاء على ان الدفاع البطولى عن موسكو وما تلاه من هجمات مضادة اختتمت بتدمير تجمع ضخم للعدو وبالقضاء على المخططات العادية ، كان لها أهمية سياسية وعسكرية ضخمة .

ان انتصار الجيش الأحمر عند ضواحى موسكو قد عصف بأسطورة الجيش الهتلرى الذى لا يقهر التى لفقتها الدعاية الهتلرية .

كما كان هذا الانتصار بمثابة تحذير جاد لتركيا واليابان ؛ وقضى على مخططات القيادة الهتلرية المترتبة على دخولها الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ، واجبر حكومات تلك الدول على التراجع عن الاعتداء على الاتحاد السوفييتى ، على الرغم من أنه لم تتم ازالة خطر مثل ذلك الهجوم تماما .

لقد استمر الدفاع عن سباستبول فى سنوات الحرب الوطنية العظمى من ٣٠ أكتوبر ١٩٤١ حتى ٤ يوليو عام ١٩٤٢ .

ان نظام الدفاع الذى تم انشاؤه عند مداخل سباستبول ، لم يسمح للعدو بأن يستولى على المدينة ، كما قيد قوات كثيره ، كان العدو يستهدف استخدامها ، بعد الاستيلاء على المدينة ، فى اتجاهات أخرى ـ من أجل الزحف على القفقاس ، وجزئيا من اجل مهاجمة موسكو .

ومن هذا المفهوم ، كان الدفاع عن سباستبول بمثابة أحد أهم الأحداث فى السلسلة العامة من المعارك الدفاعية فى تلك الفترة .

---

(1) F. Shuman, Soviet Politics. At Home and Abroad, New York, 1947, p. 432, 433.

ولقدبدأ فى نفس الوقت الذى اندفع فيه العدو بكل عنفه نحو موسكو .

وقد القيت قوات بلغ مجموعها ٢٠٠ ألف جندى ، و ٧٨٠ مدفعا ، و ٤٥٠ دبابة ، و ٦٠٠ طائرة - من أجل مهاجمة سباستبول .

ان محاصرة هذه المدينة قد كلفت الالمان عشرات الآلاف من القتلى والجرحى ، وكميات ضخمة من العتاد الحربى .

وقد اضطرت صحيفة « هامبورجر فريمدينبلات » الفاشية الى الاعتراف بقولها : « اتضح ان سباستبول هى أكثر قلاع العالم مناعة . ولم يسبق للجنود الالمان ان صادفوا دفاعا بهذه القوة .. » .

ويتمتع التلخيص العام للأحداث ، الذى نشر على صفحات مجلة « فورتنيتلى » الانجليزية فى عدد يونيو عام ١٩٤٢ بأهمية لا شك فيها . وقد جاء فيه :

« ان المعركة من أجل منطقة الاطلنطى سوف تستمر بنجاحات متفاوته ، ولكن أن يصبح المحيط الاطلنطى ميدانا للمعارك الحاميه ، فهذا شيء بعيد الاحتمال ..

وقد جرت أحاديث كثيرة حول فرصة ان يصبح الشرق الاوسط هدفا لعمليات هجومية المانية ضخمة ، كعملية احتلال شامل باتساع كبير - لكنها الآن وبدون شك ستعتمد على كيفية سير الأمور فى روسيا » (١) .

وفى الثالث من يوليو كتبت صحيفة « ديلى تلجراف » التى تصدر فى سيدنى (أستراليا) ، تقول : « ان سباستبول - هى

(1) «Fortnightly». June 1942.

ومز النصر . وسوف تبقى ملحمة سباستبول راسخة فى سجلات التاريخ الحربى الروسى على مـدى القرون . وعلى الرغم من ان هتلر كان يؤكد ان قلعة البحر الأسود قد سقطت ، فانه لم يعط امره بدق نواقيس الانتصار فى المانيا كلها ، اذ ان الموسيقى الجنائزية كانت انسب للموقف » .

اما صحيفة « التايمس » فكتبت فى ٤ يوليو ، فى افتتاحيتها المكرسة لتكريم الدفاع عن سباستبول : « اننا لنحنى رؤوسـنا للرصيد الرائع ، الذى قدمته سباستبول للقضية المشتركة . لقد أصبحت هذه المدينة مرادفا للرجولة بلا حدود ، اما الدفاع عنها فقد اخرج المخططات الالمانية عن مسارها بلا هوادة . وعلى امتداد فترة طويلة ، ارتفعت سباستبول كالسيف فوق أعناق الغزاة . »

أما « الديلى هيرالد » البريطانية ، فاعلنت فى ٤ يوليو عام ١٩٤٢ ما يلى : « ان سباستبول ـ اسم سيبقى الى الابد فى قلوب الاحرار . . . ومهما حدث فان القوات السوفييتية تستحق عرفان العالم المتحضر » .

وبهذا الأجماع أيضا علقت صحافة واذاعة الولايات المتحدة ، فاشارت نشرة مكتب الاســتعلامات الحـكومى ، الى أن الصحافة الأمريكية جميعها تنظر الى الدفاع عن سباستبول ، « كرمز لمقاومة روسيا البطولية . وان ملحمة سباستبول ، بالنسبة للامريكيين ، هى ملحمة الرجولة والبطولة » .

وأكد المعلق الاذاعى الأمريكى هيثر ، فى اســتخلاصه لنتائج الدفاع عن سباستبول ، على أنه صفحة بطولية فى التاريخ العالمى ، وانه كان رصيدا هائلا فى القضية المشتركة للقضاء النهائى على المانيا الهتلرية . كما أعلن ستيل وهو معلق آخر فى اذاعة نيويورك ، فى ٤ يوليو عام ١٩٤٢ ، أن الانســانية سوف تتـذكر الى الأبد الشجاعة والبطولة التى اظهرتها الحاميات المدافعة عن سباستبول ».

ولم يفت الصحافة التركية ، على الرغم من سياسة الحكومة المعادية للسوفييت ، أن تقدر تقديرا عاليا بطولة ورجولة سكان سباستبول .

ففى ٢ يوليو ١٩٤٢كتبت صحيفة «الاستقلال» التركية مايلى :
« ان لكل شيء حدوده ، ولا تستثنى الامكانيات البشرية من ذلك . ولقد رفع المدافعون عن سباستبول ذلك الحد الى مستوى منقطع النظير لم تصمد بلجيكا الا خمسة ايام ، وهولندا أربعة ايام ، وفرنسا الضخمة تم احتلالها خلال ١٦ يوما ، فى حين ان مجموعة صغيرة من القوات الروسية فى سباستبول قد استمرت فى المقاومة خلال شهور طويلة . يجب علينا أن نعلنها صريحة : ان نضال المدافعين عن هذه المدينة هو نموذج للبطولة . ان التاريخ يتضمن أمثلة كثيرة للدفاع مع انكار الذات ، ولكن الدفاع عن سباستبول لا مثيل له . »

لكن .. لماذا دافعت سباستبول عن نفسها ؟ ، لنترك الاجابة لتفكير الاخصائيين الحربيين . لكننا لسنا فى حاجة الى الخبراء كى نقدر سباستبول حق قدرها . لقد دافعت هذه المدينة عن نفسها بشجاعة ورجولة وبطولة ، اذ قاومت على الرغم من أن السماء فوقها قد حجبت بسحب كثيفة من طائرات العدو . وصمدت على الرغم من ان الأرض حولها قد عجت بجنود الاعداء كجيوش النمل . ان الدرس الذى يمكن للشعوب ان تستخلصه من هذا الدفاع لهو درس عظيم الخلود . اذ يعلمنا انه : حيث الناس يملأهم العزم على النضال ـ فلا يمكن لعدو ان يمر ، اذ عليه ان يخطو فوق اجساد اولئك الذين وهبوا قلوبهم وحبهم لبلادهم .

بل ان الجنرال أوكينلك (قائد القوات الانجليزية فى مصر فى ذلك الحين ـ المؤلف) ، قد قال عبارة ذات دلالة بالغة « أتريدون انقاذ مصر ؟ فلتحاربوا روميل كما حارب سكان سباستبول » .

وحتى الصحف المكشوفة الولاء لالمانيا والتى كانت تصدر فى تركيا لم تستطع ان تحجب أعرابهـا عن تقـديرها للدفاع عن سباستبـول .

ففى ٣ يوليو ١٩٤٢ كتبت صحيفة « تيوركشه بوست » الموالية للالمان والصادرة فى اسطنبول « ان المعركة بالقرب من سباستبول تذكرنا فى قسوتها وصعوبتها وخسائرها بمعركة مدينة فردان مع فارق واحد هو ان الفرنسيين قد تمـكنوا من ان يمدوا المعركة بتعزيزات جديدة باستمرار ، فى حين ان مساعدة المدافعين عن سباستبول بالاحتياطيات الجديدة كانت أصعب بكثير ، اذ كانت المؤخرة عند اهالى سباستبول هى البحر » .

وفى نفس اليوم اشارت الصحيفة التركية « تان » الى « أن النظام الشيوعى قد يتضمن جوانب حسنة وأخرى سيئة ، ولكن من غير الممـكن انكار انه قام بتربية شباب قادر على ابـداء المقاومة الشاملة الضارية ، التى تفوق ما تملكه قوات العدو ، والتى استطاعت أن تصنع المعجزات » . اما صحيفة « أولوس » فقـد اعلنت فى مقالها الافتتاحى فى عدد ٤ يوليو عام ١٩٤٢ ما يلى : « ان الدفاع عن سباستبول جدير بان تذكره الملاحم » .

فشل محاولات الجيوش الالمانية الفاشية في الاستيلاء على ستالينجراد . بداية التحول الجذرى في الحرب العالمية الثانية .

وركزت القيادة الهتلرية القوات الأساسية فى القطاع الجنوبى من الجبهة الشرقية وبدأت فى هجوم كبير فى صيف عام ١٩٤٢ ، منتهزة فرصة عدم فتح الجبهة الثانية فى غرب أوروبا وبعد حصولها ـ دون شك ـ على بيانات تؤكد أن الدوائر الانجلو ـ أمريكية لا تنوى فتح تلك الجبهة سواء فى صيف أو خريف عام ١٩٤٢ . ومن ثم وجهت أحدى التجمعات ضربتها فى اتجاه ستالينجراد ، فوصلت فى ١٧ يوليو الى المشارف البعيدة للمدينة . واندفع تجمع آخر نحو القفقاس بعد أن وصل خط نهر الدون فى منطقة روستوف . وفى ٢٤ يوليو عندما غادرت آخر الوحدات السوفييتية مدينة روستوف وانسحبت الى ما وراء نهر الدون ، دعا الجنرال الالمانى رووف القائد العام للجيش الميدانى السابع عشر ، زميله الملحق العسكرى اليابانى الى حيث حطام الجسر المنسوف ، وقال له بتفاخر ، مادا يده فى اتجاه باتايسك : « لقد فتح الباب الى القفقاس على مصراعيه . واقتربت اللحظة التى تتلاقى فيها القوات الألمانية مع قوات امبراطوركم فى الهند » .

وفى الواقع جرت تلك المحاولة ، ولكنها لم تنجح .

وحتى نهاية شهر سبتمبر قامت قوات جبهات شمال القفقاس وما وراءه بايقاف العدو عند مشارف أوردجونيكيدزه ، وعند

السفوح المركزية لسلسلة جبال القفقاس الرئيسية وفى أقليم نوفوروسيسك . أما على محور ستالينجراد فقد استعر قتال دام مرير عند المشارف البعيدة للمدينة ، ترتب على نتيجته المسار اللاحق للحرب العالمية الثانية ، اذ انه جذب اهتمام قيادتي الجانبين ، واهتمام الشعب السوفيتي وشعوب العالم أجمع ، نحو تلك المدينة الواقعة على نهر الفولجا .

ومن الواضح ان الدعاية الالمانية قد خلطت بين ما تتطلع اليه فى الاحلام وبين الواقع ، عندما اخذت منذ النصف الثانى من أغسطس عام ١٩٤٢ ، فى التأكيد للالمان على سرعة سقوط ستالينجراد لدرجة تزاحم ضعاف العقول فى برلين حول مكبرات الصوت لساعات طويلة انتظارا لاعلان الاستيلاء على ستالينجراد والهزيمة النهائية للجيش الأحمر (كم مرة حدث هذا ؟!)

ولقد جهزت هيئات تحرير بعض صحف أوروبا الغربية الخاضعة لرقابة ادارات جوبلز ، منذ ١٦ سبتمبر عام ١٩٤٢ « طبعات خاصة » . منها مثلا صحيفة « لوجيا » البلجيكية التى أعدت موضوعا مسبقا لعددها المقرر صدوره فى ١٦ سبتمبر تحت عنوان بالخط العريض : « سقطت ستالينجراد » جاء فيه : وبعد معارك ضارية استمرت لعدة اسابيع ، استولت القوات الاوروبية اليوم على واحد من آخر حصون الدفاع الروسى وذلك بعد ان حطمت المقاومة العنيفة للجيش السوفييتى » .

وادلى تودزيو رئيس وزراء اليابان ، الذى لم يكن ليشك فى نجاح الالمان ، بالبيان التالى فى سبتمبر عام ١٩٤٢ : « تقترب الحرب الاوروبية من نقطة ذروتها ، ومن المحتمل جدا ان تكون تلك النقطة فى آسيا الشرقية . ان الاتحاد السوفييتى يربط مصيره أكثر فأكثر بالحلفاء . ولهذه الاسباب يحتمل ان يظهر توتر سريع فى العلاقات اليابانية السوفييتية » .

ولكن ، لم يأت منتصف سبتمبر بالأحداث المثيرة المنتظرة ، اذ لم تسقط ستالينجراد ، بل سقط الذين هاجموها تحت ضربات القوات السوفييتية .

وكلما تحركت قوات هتلر شرقا ، كلما اشتد عنف المقاومة التى تواجهها من جانب القوات السوفييتية التى تسببت فى تمزيق كل مخططات الغزاة وحساباتهم .

ولقد اضطرت الصحافة الفاشية تدريجا الى استبدال الانباء المعدة سلفا حول سقوط ستالينجراد ، بتقديرات للموقف أكثر وعيا . فمثلا اكتشفت صحيفة « كيلنيشه تسيتونج » ، ان « الاستيلاء على المواقع والمدن الهامة لا يمكن اعتباره عاملا حاسما » .

كما أعلنت صحيفة « فيلكشير بيوباختر » الهتلرية فى ٢١ سبتمبر ، أن : « الجيش الأحمر عملاق مسلح لدرجة التشبع لم يخلق التاريخ نظيره » .

ولقد تفاخر هتلر فى خطابه فى الرابخستاج فى نهاية سبتمبر عام ١٩٤٢ بما يلى : « سوف نهاجمها ونستولى عليها ـ يمكنكم الاعتماد علينا فى ذلك » .

وفى نفس الوقت أدلى جوبلز فى حديثه مع صحفى تركى ، بالتصريح التالى : « استطيع ان اقول لكم بكل ثقة ، انه حتى شتاء عام ١٩٤٢ ، لن يكون الجيش الروسى ذا خطر ما على المانيا ، ارجوكم ان تتذكروا هذا خلال بضعة أشهر » .

ولقد بين مجرى الأحداث كله ، ان الاستيلاء على ستالينجراد ما زال بعيد المنال . حتى اضطرت صحيفة « فرانكفورتر تسيتونج » الى أعلان خبر عجيب ، فحواه ان « ستالينجراد لا تعتبر هامة » فى الوقت الحاضر ، والى ان تشرح ان « النهاية المنتصرة لمعركة

ستالينجراد سوف تتأخر قليلا ، ولكنها آتية بلا ريب قبل حلول الشتاء » (١) .

وحتى بداية شهر نوفمبر ، بلغ القتال درجة من الشدة بحيث أصبحت نتيجته بالنسبة للعدو غير محددة ، الامر الذى اضطره أكثر من مرة الى تأجيل اصدار « الطبعات الخاصة » من الصحف التى كانت تحتوى على اعلان الاستيلاء على ستالينجراد .

وفى تلك الايام ألقى هتلر خطابا أعلن فيه ما يلى . « يمكن أن يسألونا لماذا لا يتحرك الجيش الى الامام بسرعة أكبر ؟ ، « ولكنى لا ارغب فى فردان أخرى ؛ أننى أفضل التوصل الى أهدافى عن طريق هجمات محدودة . وليس للوقت فى هذه الحالة أهمية ما » . ولم تكن هذه الا محاولة لاخفاء حقيقة الموقف على الجبهة واخفاق المخططات الالمانية ـ الفاشية .

وفى بداية نوفمبر عام ١٩٤٢ أعلن راديو برلين ما يلى : « أن هذا النضال فى ضواحى ستالينجراد وعند منحنى نهر الدون ـ هو أقسى المعارك منذ بداية الحرب الألمانية ـ السوفييتية ، ويتطلب من الجنود جهودا فوق طاقة البشر . وعلى الرأى العام الالمانى الذى يظهر علامات القلق العميق ، ان يحتفظ بصبره وأمله فى الجيش الالمانى » .

ويمكن ان نستشهد بما كتبه بعض الجنرالات الهتلريين المهزومين ، وخصوصا اقوال كورت تسيتسلر الرئيس السابق لهيئة اركان حرب القوات البرية : « فى هذا الوقت (فى نهاية اغسطس ـ المؤلف) ، وصلت وحداتنا المتقدمة الى نهر الفولجا عند منطقة ستالينجراد . وهنا تصورنا اننا توصلنا الى هدفنا الرئيسى الأول ، ولكن ، وياللاسف ، كان هذا مجرد سراب . فسرعان ما اوقف هجومنا ، ووضع حد لنجاحاتنا فى القفقاس .

(١) "Times" 29. IX — 1942.

وكان عزل الفيلد مارشال ليست من منصبه ، هو أولى علامات اجهاض هجومنا ... كما عزل الجنرال جالدر فى نهاية سبتمبر من منصب رئيس هيئة اركان الحرب » .

لقد تحدث العالم أجمع عن التوتر الضخم فى معارك ضواحى ستالينجراد وعن قيمة تلك المعارك .

وكانت قسوة النضال قد تولدت نتيجة ان كلا الطرفين استهدف أكثر الأهداف حسما . فعمل الالمان كل ما فى وسعهم من أجل الاستيلاء على ستالينجراد ، أما الشعب السوفييتى وجيشه فقدما المزيد لا من أجل عدم التخلى عن ستالينجراد فحسب ، بل ومن أجل تحطيم العدو المسعور أيضا . ومن الطبيعى للغاية ان كل العالم كان يملأه القلق فى انتظاره لنتيجة هذا النضال .

وجاء فى خطاب روزفلت الذى بعثه لستالين ما يلى : « ان الولايات المتحدة لتعى جيدا حقيقة ان الاتحاد السوفييتى يتحمل العبء الأساسى للنضال ، وأكبر الخسائر فيه على مدى عام ١٩٤٢ واستطيع أن اخبركم اننا معجبون بالمقاومة الرائعة التى اظهرتها بلادكم » (١) .

ولقد جاءت السطور التالية فى كتاب هارى باتشر ياور الجنرال ايزنهاور ، الذى صدر بعد نهاية الحرب ، تعليقا على تلك الفترة : « ان الجيش الأحمر يتحمل العبء الأساسى فى النضال » (٢) .

وقد تضمن خطاب تشرشل أمام مجلس العموم فى ٨ سبتمبر فيما يتعلق بالموقف على الجبهة السوفييتية الالمانية قوله : « ... لا يعتبر الروس اننا او الأمريكان قد صنعنا حتى الآن ما فيه الكفاية

---

(١) المراسلات . الجزء الثانى ، ص ٢٢ .

(٢) H. Butcher. My three years with Eisenhower. New York, 1946. p. 11.

من اجــل ان نخفف عنهم العبء . وليس هــذا بمستغرب على الاطلاق ، اذا ما اخذنا فى الاعتبار قسوة الهجــوم الواقع عليهم والذى يتحملونه بهذه البســالة الفائقة .

وفى هذا الوقت الحرج ، لم يكن احد ليصدق ان روســيا يمكنها ان تواجه الجيوش المهاجمة مثلما تفعل الآن ، لأنه على الرغم من ان ٤٠ ــ ٤٥ فرقة المانية تقف ضدنا وتكبت البلدان المستعبدة ، فان هذه الحشــود لا تقاس بما تواجهه الجبهة بالاضافة الى القوات الفنلندية والمجرية والرومانية والايطالية ، التى شدها هتلر الى تلك المجزرة الدموية » .

ولقد امتلأت الصحف الأجنبية بتصريحات مماثلة لزعماء الدول فمثلا كتبت صحيفة « ايريش تايمس » فى ١٥ سبتمبر تقول : « يقولون لنا : مضت أزمان المعجزات . ولكن من وجهــة النظر العسكرية ، فان دفاع الجيش الروسى عند ستالينجراد يعتبر من ضروب المعجزات . فحسب كل القوانين العسكرية ، كان من المحتم ان تسقط المدينة فى أيدى الالمان منذ وقت بعيد ، ولكن مثلما حدث فى مدريد اثناء الحرب الاهلية الاسبانية ، وفى لينينجراد منذ اثنى عشر شهرا ، وقع الخبراء العســكريون فى مأزق ، حيث أظهــر العنصر البشرى مرة أخرى أنه لا يخضع لحساباتهم .

وأصبحت ستالينجراد رمزا للمقاومة الروسية ، مثلها فى ذلك مثل فردان ، التى كانت رمزا للمقاومة الفرنسية منذ ٢٥ سنة مضت » .

والحقيقــة انه جرى الحــديث فى بعض الأحيــان ، بجانب الاعتراف ببسالة وثبات الجيش الأحمر ، وبالدور الكبير الذى قام به الاتحاد السوفييتى فى الحرب ، عن عدم السماح بالمخاطرة بتدخل القوات الانجلو ــ امريكية فى اوروبا . فقد شــوه بعض

المعلقين اللبقين صورة القضية ، اذ أنهم مع اشـارتهم للمقـاومة البطولية للجيش الاحمر ، والى اندحار مخططات القيادة الالمانية الفاشية عند ضواحي ستالينجراد ، أستخلصوا من ذلك أستنتاجات مذهلة فحواها ان هذا بالذات يجب ان يعتبر نذيرا للذين ينادون بفتح الجبهة الثانية السابق لاوانه . ولقد أستخدمت ذلك المنطق غير الشريف ، صحيفة « السـاندى تايمس » الانجليزية على وجه الخصوص ، فى عددها الصادر فى ٢٧ سبتمبر عام ١٩٤٢ . حيث تضمن عرضها للمجالات النظرية ، وعلى وجه الخصوص مجال حرب الخنادق والمناورة ، ايضاحا معناه ان الحلفاء اذا واجهوا عنـد انزالهم للقوات فى اوروبا الغربية ، مقاومة تماثل تلك التى واجهها الالمان عند ضواحى ستالينجراد ، فسوف يكتب على التدخـل الفشـل .

وكان التعليق الذى ظهر على صفحات صـحيفة « صـوت الشعب » البيروتيـة فى ١٧ أكتوبر عام ١٩٤٢ ، جليا بدرجـة استثنائية ، اذ جاء فيه : « ان مدافع ستالينجراد لا تكتفى بسحق الالمان فقط ، ولكنها تزلزل جدران برلين أيضا . ويصر هتلر على أسنانه فى هستيرية ، كماترتعد فرائص جورنج متعاطى المخدرات ، أما جوبلز فيسقط قلبه فى قدميه ويحاول تأكيد ان الروس لايفهمون قواعد الحرب ، اذ انهم لا يستسلمون . ان هدير الطلقات له رجع الصـدى فى باريس ـ درة فرنسـا . ويغلى الـدم فى قلـوب الفرنسيين من دوى مدافع ستالينجراد ، اذ يسمعون فى دويها ، رجع صدى مدافعهم ، التى دوت بالأمس فى فالما وفردان ، والتى ستدوى غدا فى مؤخرة الغزاة الذين دنسوا الأرض الفرنسية . ويحلق دوى مدافع ستالينجراد فى آفاق أبعد وابعد ويلف الأرض عبر تشون تسين ونيويورك ولندن والعلمين . لقد طرحت المدينة على نهر الفولجا مسألة نهاية هتلر الوشيكة ، وأصبحت مقبـرة للقوى الفاشية الغاشمة ! » .

وبعد ذلك بثلاثة أيام أعلن راديو لندن فى ١١ أكتوبر عام ١٩٤٢ : أن الالمان انفسهم يسمون ستالينجراد الآن فردان الروسية .

.. لقد حطمت ستالينجراد جيش هتلر ، فبينما تم الاستيلاء على بولندا خلال ٢٨ يوما ، لم يتمكن الالمان من احتلال غير عدة منازل فى ستالينجراد فى نفس المدة . وبينما كانت ٣٨ يوما كافية لاحتلال فرنسا ، لم تكف هذه المدة فى ستالينجراد الا لتحرك الالمان من جانب فى شارع الى جانبه الآخر » .

وجاء فى كتاب « تاريخ الحرب فى المحيط الهادى » ، الذى وصفه المؤرخون اليابانيون فى خمسة أجزاء ما يلى : « ان دفاع الجيش السوفييتى عن ستالينجراد قد انقذ البشرية من الفاشية » .

وقال سايروس ايتون رجل المجتمع الامريكى المرموق ، فى احدى مقابلاته الصحفية : « لقد اثبتت معركة ستالينجراد للعالم أجمع عزم الشعب الروسى الراسخ على القتال حتى الموت دفاعا عن وطنه الأم . وفى ذلك الوقت تابع الجميع هذا النضال البطولى باهتمام لا يفتر . »

ان خير دليل على أن النضال البطولى المسلح للجيش الأحمر وللشعب السوفييتى كله الذى كان ، فى خريف عام ١٩٤٢ ، وهى فترة الصمود ضد هجمات الغزاة الفاشست على ستالينجراد قد جذب اهتمام البشرية التقدمية كلها ، يتمثل فى التهانى العديدة التى تلقتها الحكومة السوفييتية والشعب السوفييتى بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى .

فمن تسوديروس ، رئيس وزراء اليونان : « ... الى كل جنود الجيش الأحمر والعمال فى المدينة وكل شعوب الاتحاد السوفييتى ... ان مأثرتكم البطولية قد انتزعت أعجاب العالم كله .. انكم

تقومون بنضال مجيد ، ويوما بعد يوم تستنزفون قوى آلة الحرب النازية ، وبهذا بالذات تذودون لا عن بلادكم فحسب ، ولكن عن حرية كل الشعوب الديموقراطية على وجه البسيطة .. »

ومن رئيس الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت : « .. يحمل الجيش الروسى والشعب الروسى ، فى نضالهما المستمر ضد الغزاة النازيين ، عبء قوى الضغط النازى المركزة ، كما أن بطولة الجيش الروسى والشعب الروسى هى رمز للحسم والارادة التى لا تلين » .

ومن ديجول : « ... أقدم التحية لشعب وجيش الجمهوريات السوفييتية ، والجهـود المكللة بالانتصـار التى تلهم فرنسـا فى نضالها » .

وقد بعث رجالات الثقافة وكبار الكتاب الأجانب بالتهانى العديدة التى تضمنت أعرابهم عن الاعجاب بانتصارات الجيش السوفييتى .

فكتب تشارلى شابلن ، الفنان والمخرج السـينمائى الشهير يقول : « سوف يمجدكم التاريخ ، كمنتصرين على اخطار سـيادة الطغيان » .

كما كتبت كاترين سوزان بريتشارد ، الكاتبة الاسترالية تقول : « ان نضالكم قد انقذ العالم من براثن السيادة الفاشية ، وربط بين البلدان الديموقراطية والاتحاد السوفييتى . أن البشرية مدينة للاتحاد السوفييتى بدين يستحق الاداء » .

أما ليون فيختفـانجر الكاتب الالمـانى ، فقال فى هذا الصدد : « يعرف مئات الملايين من البشر على كوكبنا ، أن حريتهم وسعادتهم متوقفة على نتيجة ذلك النضال » .

وحتى نوفمبر عام ١٩٤٢ ، كان العدو قد استولى على حوالى ١٫٨ مليون كيلومتر مربع من الأراضى السوفييتية ، كان يعيش فيها قبل الحرب ما يقرب من ثمانين مليون نسمة ، أى ٤٢٪ من سكان الاتحاد السوفييتى .

وحتى ذلك الوقت تضمن نشاط العدو عدة نجاحات لا جدال فيها . ولكن تلك النجاحات قد تم التوصل اليها بثمن غال ، هذا اولا ، وثانيا ، أنه فى حين تعاقبت نجاحاته اثناء عمليات غرب اوروبا نجاحا تلو الآخر ، فان الغزاة الالمان الفاشست قد ذاقوا بجانب النجاح مرارات الفشل الذريع على الجبهة السوفييتية الالمانية (فى عمليات الاستيلاء على لينينجراد والقرم وسباستبول وفى الزحف على القفقاس وغيرها) ، والهزيمة النكراء عند ضواحى موسكو .

لقد أجبر كل هذا قيادة « الفيرماخت » على ان تلقى بقوى جديدة تلو القوى على الجبهة الشرقية ، اذ بلغ ما وجهته اليها حتى اول نوفمبر من بين ٢٦٧ فرقة وأربعة الوية ١٩٢ فرقة وثلاثة الوية علاوة على ٦٦ فرقة و ١٣ لواء من البلدان التابعة لالمانيا .

ان اندحار مخطط الاستيلاء على ستالينجراد كان معادلا للهزيمة الساحقة . ولكن الهزيمة الكاملة لم تكن قد حلت بعد . وعلى أى الحالات ، فان القيادة الالمانية ، رغم فقدانها أمل الاستيلاء على ستالينجراد ، لم تكن تتوقع بعد اسوأ النتائج .

وفى ١٨ يونيو عام ١٩٤٥ ، أدلى ايودل أثناء استجوابه بما يلى « لم نكن نتصور مطلقا مدى قوة الروس فى هذه المنطقة . فلم يكن فيها من قبل مظهر لأى قوة .. وعلى حين غرة ، نزلت علينا ضربة ساحقة كان لها أهمية حاسمة » .

ففى ١٩ نوفمبر عام ١٩٤٢ وجد الجيش الأحمر ، الذى استنزف العدو نهائيا فى المعارك الدفاعية ، فى نفسه القوة كى يبدأ هجوما مضادا حاسما ضد التجمع الاستراتيجى لقوى العدو عند ستالينجراد ، الذى كان مكونا من مليون واحد عشر ألف جندى بتسليح يتضمن ٦٧٥ دبابة ١٠٣٠٠ مدفع وهاون و ١٢١٦ طائرة .

ونتيجة لقيام القيادة السوفييتية فى الوقت المناسب بتكوين واعداد احتياطيات قوية من وحدات المشاة والدبابات استطاعت فى اعدادها للهجوم المضاد ، أن تركز تجمعا من القوات يتكون من مليون وخمسة آلاف مقاتل ، و ٨٩٤ دبابة ، و ١٣٥٤٠ مدفعا وهاونا ، و ١١١٥ طائرة (دون حساب طائرات أو ـ ٢)

وتوضح مقارنة القوى عدم وجود أى أساس من الصحة للمحاولات التى يبذلها المؤرخون فى المانيا الغربية فى تفسير هزيمة القوات الالمانية بانها وقعت بسبب التفوق العددى « الضخم » الاسطورى . الا أن سر النجاح ـ بجانب العوامل الأخرى ـ قد كمن ، ليس فى التفوق العام ، بل فى الاختيار الصحيح والماهر للوقت والمكان المناسبين لانزال الضربات الرئيسية ، وفى خلق التفوق الملموس فى القوى على الاتجاهات الرئيسية ، وبالطبع فى ضبط أعمال كل أنواع القوات طبقا للمخطط العام للعملية .

وفى صباح ١٩ نوفمبر عام ١٩٤٢ ، بدأ الهجوم المضاد لقوات جبهتى الجنوب الغربى والدون بطلقات الآلاف العديدة من المدافع والهاونات . وفى نفس الوقت تقريبا انزلت جبهة ستالينجراد ضربتها على العدو . وكان من نتيجة هذه العملية الجيدة الاعداد ان تمزقت جبهة القوات الالمانية الفاشية فى عدة قطاعات وذلك منذ اليوم الأول للهجوم . وبتصعيد القوات السوفييتية للهجوم المندفع ، توصلت الى نتائج منقطعة النظير . وفى اليوم الرابع من بدء الهجوم ، وصلت الوحدات السوفييتية ، التى انزلت ضربتها من مناطق فى الشمال الغربى وفى الجنوب من ستالينجراد الى ضفة الدون التى كان يحتلها العدو ، كما تلاقت القوات فى منطقة مدينة كالاتش .

وفى نفس الوقت الذى وقعت فيه المعارك عند الدون الاوسط ، دارت رحى المعارك الطاحنة جنوبى ستالينجراد .

وفى الفترة من ٢٤ حتى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٤٢ انزلت قوات جبهة ستالينجراد بالعدو عدة ضربات قوية ، كان من نتيجتها ان عانى تجمع القوات الالمانية الفاشية تحت قيادة مانشتين والموجودة فى منطقة كوتيلنيكوف من الهزيمة الساحقة .

فى ١٠ ينـاير عام ١٩٤٣ بـدأت المرحـلة الختاميـة لمعركة ستالينجراد ، وهى القضاء على مجموعة القوات المحاصرة . وفى الثانى من فبراير ترددت فى ستالينجراد الطلقات الأخيرة .

وقد تم خلال الهجوم المضاد ، الذى جرى فى منطقة واسعة ؟ تدمير خمسة جيوش معادية وهى : اثنان المانيان ، واثنان رومانيان ؟ وجيش ايطالى واحد . وخسر العدو ما مجموعة ٣٢ فرقة و ٨ كتائب ، واصيبت ١٦ فرقة بخسائر فادحة .

وحاول جوبلز بشتى الطرق فى بداية عام ١٩٤٣ ، ان يخفى عن الشعب الالمانى أهمية الـكارثة المرتقبـة أو حتى ان يقلل من قيمتها ، فاعلن بالراديو : « كان العام المنصرم مواتيا لنا . فسلبنا العدو مراكزه الهامة للحصول على المواد الخام والسلاح والخبز . ولن يستطيع أن يفيق من هول هذه الضربة حتى نهاية الحرب » .

وكتبت لنفس الغرض صحيفة « برلينر بورزنزايتونج » ، وهى بوق جوبلز ، فى ١٦ فبراير مهـدئة قراءها تقول : « اننا خسرنا ستالينجراد ، وليس بروسلافل أوكينجزبرج » (١) .

ولكن ذلك لم يستطع ان يقلل من شأن ما حدث .

وهكذا كتب أحد المشتركين مباشرة فى معارك ستالينجراد وهو الجنرال هانس دير : « فى عام ١٩٤٢ أصبحت ستالينجراد نقطة تحول فى الحرب العالمية الثانية . ان المعركة عند ستالينجراد كانت

---

(١) «Berliner Börzen-Zeitung» 16. 11. 1943.

بالنسبة لالمانيا هزيمة منكرة في تاريخها ، بينما هي بالنسبه لروسيا نصر عظيم . ففي معركة بولتافا (عام ١٧٠٩) حصلت روسيا على حق تسميتها بدولة اوروبية عظمى . أما ستالينجراد فهي بداية تحولها الى احدى أعظم دولتين في العالم ... ولا يستطيع أي من حلفائها في الحرب الماضية ان يتفاخر بمثل هذا النصر » .

ويعترف جنرال ومؤرخ آخر هو الجنرال تيبلسكيرخ بأهمية هزيمة ستالينجراد لاعتبارها نقطة تحول في الحرب . فكتب يقول : « بالرغم من أن الأحداث في شمال افريقيا تحتل مكانة أكثر بروزا من معركة ستالينجراد ، ضمن اطار الحرب عامة ، الا ان الكارثة في ضواحي ستالينجراد قد هزت بشكل اقوى الجيش الالماني والشعب الالماني ، لأنها بدت لهما أكثر حساسية . فقد حدث هناك أمر لا يدرك كنهه ولم يعرف منذ عام ١٨٠٦ ، وهو مصرع جيش طوقه العدو » .

ان كتاب « تاريخ الحرب العالمية الثانية في صور » ذا الحجم الكبير والصادر في جزنين عام ١٩٥٢ بالمانيا الغربية ، يعطي تقديرا محددا تماما للأحداث التي جرت عند ستالينجراد . فيختتم الجزء الأول منه والمعنون بعنوان « من نوربرج الى ستالينجراد » بالكلمات التالية : « كانت الكارثة عند ستالينجراد نقطة تحول في الحرب لذا فان الشعب الالماني قابلها بالالم . فبعد سنوات ثلاث من الانتصارات بدأت ثلاث سنوات من الانحدارات . وبالنسبة للشعب الالماني فقد بدأت من ستالينجراد فترة المحن العصيبة » (١) .

أما الجزء الثاني من الكتاب وهو بعنوان « من ستالينجراد الى نورنبرج » فيبدأ بنفس الكلمات : « ستالينجراد ـ نقطة تحول

---

(١) Der Zweite Weltkrieg im Bild Bd. I Baden 1952, S. 272.

فى الحرب » . ويعترف الكتاب بان يوم ٣١ يناير عام ١٩٤٣ ، حين وقع باولوس وثيقة الاستسلام ، « كان ، اذا أمكن التعبير بهذه الصورة نقطة التحول فى الحرب مثبتة بوثيقة » (١) . صحيح ، أن مؤلفى الكتاب يحاولون اعتبار معركة العلمين من نقاط التحول أيضا ، لكن الحقائق التى يوردها الكتاب نفسه ، لا تؤكد هذه الرواية المختلقة .

ويبدو جليا ان المؤرخ الالمانى الغربى جيرليتز قد اضطر رغما عنه الى تسمية الاشياء باسمائها . وقد أسهم هذا المؤرخ برصيد كبير فى التشويه المقصود لتاريخ الحرب العالمية الثانية . وبالرغم من محاولاته العديدة لتعديل التاريخ لما فيه مصلحة اسياده من حملة الأفكار الانتقامية فانه كتب يقول : « وضعت معركة ستالينجراد بداية افلاس الاستراتيجية الهتلرية كلها ، التى تكمن فى أساسها أوهام وتصورات العزة والهيبة » (٢) .

وكتب فى مكان آخر قائلا : « كانت تلك أكبر هزيمة فى التاريخ منى بها الجيش الالمانى فى أى وقت من الاوقات ! وبعد أزمة شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ فان الهزيمة عند ستالينجراد كانت تعنى التحول الحاسم الثانى فى الحرب .. ومما لا يقل عن هذا الامر وطأة ، ان الجيش الالمانى فى الجبهة الشرقية قد أصبح عاجزا عن تعويض الخسائر الجسيمة فى أى وقت (٣) .

وفى كتاب آخر لجيرليتز هو « تاريخ الحرب العالمية الثانية » نجد ما يلى : « كانت الكارثة عند ستالينجراد تحولا عظيما لا من ناحية السياسة الداخلية فحسب ، بل ومن ناحية السياسة

---

(١) Der Zweite Weltkrieg im Bild Bd. II S. 5.

(٢) W. Görlitz. Der deutsche Generalstab. Geschichte und Gestalt 1657-1945 Frankfurt a/M. S. 601.

(٣) Ibid S. 610.

الخارجية أيضا . وكان لها أثرها الذى هز بشدة كافة انحاء الممتلكات الالمانية فى العالم ... » (١) ، ثم يستطرد المؤلف قائلا : « وكانت هذه الهزيمة من أشد الهزائم وطأة التى منيت بها القوات البروسية ــ الالمانية منذ ايام يينا واورشتدت وعام ١٨٠٦ الكئيب » (٢) .

كما اضطر الجنرال جودريان الذى اندحر فى الجبهة الشرقية الى الاعتراف بأن الهزيمة عند ستالينجراد كانت كارثة محققة . فكتب فى « مذكرات جندى » يقول : « وساء الوضع بدرجة كبيرة ... وبعد الكارثة عند ستالينجراد فى نهاية يناير عام ١٩٤٣ أصبح الوضع خطيرا بدرجة كافية حتى دون دخول الدول الغربية الحرب » (٣) .

وكتب الجنرال فيستفال يقول : « اثارت الهزيمة عند ستالينجراد الرعب فى الشعب الالمانى وجيشه . ولم تكن فى كل تاريخ المانيا حالة مماثلة فى المصرع الرهيب لمثل هذه الاعداد من القوات . وجاء عام ١٩٤٣ ، الذى بدأ بمأساة ، ومفاجآت قاتلة جديدة . ولم يتسن سد الثغرة التى ظهرت فى صفوف الجيش الالمانى ، بعد القضاء على ٢٠ فرقة من خيرة فرق الجيش السادس رغم تشكيل فرق جديدة بدلا من الفرق التى تحطمت عند ستالينجراد » .

وفى أواسط فبراير عام ١٩٤٣ كتب فون هاسل الدبلوماسى الالمانى الشهير فى مذكراته : « أن الاسابيع القليلة الأخيرة تتميز

---

(١) W. Görlitz. Der Zweite Weltkrieg, 1939-1945 Bd. 1 Stutgart 1951, S. 115.

(٢) Ibid S. 414.

(٣) H. Guderian. Erinnerungen einer Soldaten Heidelberg, 1951, S. 250.

بأشد الازمات التى لم نعرفهـا فى الحـرب . وقد اجتاحت هذه الازمة ، مع الآسف ، لا القيادة والنظام الحاكم فحسب بل وكل المانيا . ويرمز لهذه الازمة بكلمة واحدة هى ـ « ستالينجراد » (١)

ويمكن ايراد المزيد من مثل هذه الاعترافات . لكننا نرى أنه من المناسب هنا الاكتفاء بشىء واحد هو حكم الفوهرر نفسه . ففى هذه الفترة كان كل اهتمامه موجها الى الجبهة الشرقية ، اذ كان يتوقف على نتائج القتال هناك تنفيـذ كافة الخطط الأخـرى فى الشرقين الأدنى والاوسط وفى شمال افريقيـا ومنطقة المحيط الاطلسى .

وفى ١٧ يناير عام ١٩٤٣ أعلن هتلر فى حـديث مع أحـد المقربين اليـه وهو الفريق البحرى كرانكه ما يلى : « يجب علينـا أن ندرك بوضوح بأن هذه الحرب تحت الماء غير ذات فائدة ، اذا لم نستطع الانتصار على روسيا فى الشرق » (٢) .

وقد فعل كل شىء من اجل بلوغ هذا النصر : فقام بترقية أكثر الجنرالات كفاءة ، وحاول أن يحفز القوات للقيام بعمليات فعالة بمختلف الوعود والعهود ، وأعطى المزيد من الأوامر « بالهجـوم » و « تحقيق النصر » وغير ذلك . ولكن دون جدوى .

وبديهى انه « ارغى وازبد » عنـدما أصـبحت الهـزيمة عند ستالينجراد حقيقة واقعـة ، وبالاخص بعـد اسـتسلام الجيش السادس . وتحدث بسخط عن باولوس ، متهما اياه لعدم اقدامه على الانتحار ، ومعلنا أسفه لأنه لم يتوقع مثل هذه النتيجة ، عندما رقى باولوس الى رتبة فيلدمارشال ..

---

(١) The von Hassel Diaries. 1939-1944. London, 1948, p. 255.

(٢) U.S Naval Institute Proceedings N 9, 1947.

ويدور الحديث هنا حول عمليات الغواصات الالمانية ضد السفن الانجليزية والامريكية .*

والأهم من ذلك فان هتلر أعلن فى أول فبراير عام ١٩٤٣ ، فى اجتماع عقد فى مقره « عرين الذئب » ، والذى جرى الحديث فيه فقط حول الوضع بمنطقة ستالينجراد واستسلام الجيش السادس ، ما يلى : « ان أمكانية انهاء الحرب فى الشرق عن طريق الهجوم قد زالت . يجب أن نتصور هذا الأمر بوضوح » . وقد أكد هذا القول رئيس اركان القوات البرية ، الذى كان حاضرا عند ذاك ، بكلمة « نعم ! » ذات الدلالة .

وقد أحدث انتصار الجيش الأحمر على الغزاة الالمان الفاشست عند ستالينجراد صدى واسعا فى بلدان التحالف المعادى للهتلرية وفى عدد من البلدان المحايدة . وبالطبع كان يوجد فى هذه البلدان ، ولا يزال ، عدد غير قليل من المؤرخين والسياسيين والعسكريين ، الذين يسعون الى تشويه هذه الملحمة التاريخية ، أو على أقل تقدير التزام الصمت حيالها .

وقد قدر بعض المؤرخين البرجوازيين فى حينه تقديرا عاليا انتصار الجيش الأحمر عند ستالينجراد ، لكنهم تراجعوا فيما بعد عما كتبوه تحت التأثير المباشر للأحداث .

ويمكن ان نجد فى عدد من أعمال المؤرخين الانجليز والأمريكان أسلوبا آخر فى التشويه ، مثل محاولات مساواة معركة ستالينجراد بأحداث حربية أخرى أقل أهمية من أحداث الحرب العالمية الثانية ـ مثل معركة العلمين ، والمعركة من أجل جزيرة ميدوى .. الخ . ان التعليقات والأقوال حول الأحداث فى الفولجا تدحض محاولات التقليل من اهمية هذه المعركة بالنسبة للسير العام للحرب العالمية الثانية .

ولنبدأ حتى من ونستون تشرشل نفسه . فبعد ان بدأ الهجوم المضاد للجيش الأحمر فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٤٢ ، تزايد مدى اهتمامه بالجبهة الشرقية . وفى الحقيقة أنه لم يفرح لنجاحات

حليفه قدر جزعه من النتائج المحتملة لهذا النجاح . لكن تشرشل لم يرغب فى فضح نفسه كعدو لدود للاتحاد السوفييتى امام الرأى العـام الانجليزى ، الذى كان يتابع بتعاطف كبير نضـال الشعب السوفييتى ضد الغزاة ، لذا فانه اضطر الى الاعتراف بكل اهمية معركة الفولجا سواء فى رسائله الى رئيس الدولة السوفييتية ، أم فى تصريحاته العلنية . فقد كتب الى ستالين فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٤٢ يقول : « اننا نتابع الهجوم ، وقد انحبست انفاسنا .. » .

واعترف تشرشل فى تقريره الى المجلس العسكرى فى ٢٠ يناير عام ١٩٤٣ بان « .. كافة عملياتنا الحربية (أى الحلفاء ــ المؤلف) مجتمعة ، تجرى على نطاق ضيق جدا بالمقارنة مع الموارد الضخمة لانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، ناهيك عن مقارنتها بالجهود الجبارة لروسيا » (١) .

وفى أول فبراير عام ١٩٤٣ كتب تشرشل الى ستالين يقول : « ... ارجو أن تتقبلوا التهانى بمناسبة استسلام الفيلد مارشال باولوس ونهاية الجيش السادس . أنه حقا لنصر مذهل » .

وفى ١٤ فبراير عام ١٩٤٣ كانت رسالته التى بعث بها الى ستالين مخصصة للأحداث فى الجبهة الشرقية . وقد جاء فيها ما يلى : « ان سلسلة الانتصارات الرائعة ، ومن أحدى حلقاتها تحرير روستوف ــ دون ، الذى بلغنا خبره الليلة ، تجعلنى عاجزا عن ايجاد الكلمات للتعبير عن الاعجاب والتقدير الذى تكنه تجاه السلاح الروسى . ان رغبتى المخلصة جدا هى أن أعمل أكثر ما يمكن من أجل تقديم المساعدة لكم » .

وبالطبع لم يكن ذلك كله معروفا للشعب الانجليزى . ولكن هذا لا يغير من جوهر المسألة ــ فتحت تأثير سير الاحداث الفعلية

---

(1) W. Churchill. Op. Fit. vol. IV, p. 613, 667.

للقتـال فى الجبهـة الشرقيـة كان تشرشـل مضطرا لأن يسمى المسميات بأسمائها .

وقد أولت الصحافة الانجليزية اهتماما كبيرا جـدا للهجوم المضاد للجيش الاحمر ، وبالاخص بعد اختتام المعركة فى الفولجا ، وفى ٢ و ٣ فبراير اشـارت الجرائد الى أن الالمان اصيبوا عند ستالينجراد بكارثة حربية على نطاق هـائل ، وان النصر عند ستالينجراد يعتبر مأثرة حربية عظمى للقوات السوفييتية .

واشار معلق الراديو الانجليزى هول الى أن « ستالينجراد قد اصبحت مقبرة لا بالنسبة لمئات الآلاف من الجنود الالمان فحسب ، بل وللخطط الالمانية . ان انتصار الروس عند ستالينجراد ، هو كانفجـار البـركان ، قـد هز دفاعات الالمـان من لينجراد الى القفقاس » .

وقال اللورد بيفربروك فى خطـابه بمجلس اللوردات اثناء المناقشات البرلمانية حول وجود « حاجة ملحة لافتتاح الجبهـة الثانية فى اوروبا » ، ما يلى :

.. اننا لا نشعر حاليا بالخوف ـ .. الخوف الناجم من خطر اقتحام العدو لمصر ، وخطر الغواصات ، الذى كنا نخشاه كثيرا فى عام ١٩٤١ ، أو امكانية انضـمام الاسطول الحربى الفرنسى الى الاسطول الالمانى ، أو الوضع فى استراليا ، وسيلان والهند .

فما هو سبب تفاؤلنا ؟ كلنا يعرف ان السبب هو نجاح الهجوم الروسى الثانى ، الذى تجاوز كل ما توقعناه » (١) .

ويربط أحد رجالات حزب العمـال المشـهورين وهو اللورد سترابولدجى فى كتابه « القـوة البحـرية فى الحـرب العالمية الثانية » بين الكارثة التى أصيب بها الالمان عند ستالينجراد والقتال

---

(١) "Times" 24, II, 1943.

فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، بقوله : « اذا مرت حملة الالمان فى روسيا عام ١٩٤٢ بنجاح وتمكنوا من حشد القوات الجوية والدبابات والمدفعية والقوات العاملة هناك وارسالها فى الوقت المناسب كتعزيزات الى المارشال رومل فى شمال افريقيا . لاستطاع رومل احتلال شمال مصر والتقدم نحو فلسطين وسوريا ، وبذلك يكون قد حرم الاسطول البريطانى من قواعد انطلاقه فى القطاع الشرقى من البحر الابيض المتوسط » (١) .

وأعلن الكاتب الانجليزى الشهير هربرت ويلز بثقة فى حديث له مع مايسكى السفير السوفييتى فى لندن ، قائلا : « الآن ، وبعد انتصاركم على ضفاف الفولجا ، فان نتيجة الحرب لا تحتمل الشك ، وسوف يتم القضاء على هتلر ، وتجتث الفاشية من جذورها ... »

وكتب الضابط الانجليزى ريتشارد سكوايرز وهو أحد المشتركين فى الحرب العالمية الثانية فى كتابه « دروب الحرب » ، عند تعرضه لأحداث تلك الفترة : « ان أكثر الأحداث بهجة بين جميع الاحداث هو الانتصار الرائع للروس عند ستالينجراد . أن الجيش الروسى ، وصلابته الحديدية ، وروحه القتالية وارادته التى لا تقهر كانت منذ زمن طويل مبعث أعجاب وحماس جنودنا ، ولكننا عندما علمنا بالانتصار فى الفولجا ، احسسنا أيضا بشعور عظيم من الارتياح . وكان جنودنا قبل ذلك بفترة وجيزة قد وجهوا ضربة قاصمة لرومل فى العلمين . غير أن هذا النصر كان قد جرى فى مصر البعيدة ، وبعيدا عن المناطق التى كانت تقاتل فيها القوات المسلحة الالمانية الرئيسية . وكان نبأ النصر فى ستالينجراد هو أول نبأ يعلن النصر الحاسم على المانيا الفاشية . وكنا ندرك بان أبطال ستالينجراد لم يحاربوا من أجل روسيا فحسب ، بل من أجل أوروبا كلها ، ومن أجلنا نحن الانجليز » .

(1) J.M. Strabolgi. Sea Power in the Second World War. London-New York, 1943, p. 2.

ويستطرد الكاتب قائلا : « لقد هزت ملحمة ستالينجراد الشعب الانجليزى كله . وسطع نور السلام والحرية فى الشرق ، واضطر حتى أعداء الاتحاد السوفييتى الالداء الى التزام الصمت ازاء رؤيتهم هذا الابتهاج الشعبى العام » .

ولعل خير تعبير عن الاعتراف بشجاعة سكان ستالينجراد فى الدفاع وبطولتهم فى الهجوم هو « سيف الاستحقاق » ـ الهدية التى قدمها ملك انجلترا جورج السادس الى ستالينجراد وقدم تشرشل هذا السيف الى ستالين أثناء مؤتمر طهران لرؤساء حكومات انجلترا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وسلم لمدينة ستالينجراد فى ٢ فبراير عام ١٩٤٤ ، وهو يوم الذكرى السنوية لاختتام معركة ستالينجراد . وهو يتألف من نصل ذى حدين طوله ١ر٢ متر ، مصنوع من أجود أنواع الفولاذ المقسى . أما قبضته فمصنوعة من الفضة وبرأس من البلور . وحفرت على جهتى النصل ، بالروسية وبالانجليزية ، العبارة التالية : « الى أبناء ستالينجراد الأشداء كالفولاذ . هدية من الملك جورج السادس تعبيرا عن احترام الشعب البريطانى » . وللسيف غمد مكسو بأجود أنواع فراء الحملان الفارسية . ومثبت على الغمد شعار الملك ونجمة الجيش الأحمر ، وهما مصنوعان من الميناء والذهب .

وجاء فى برقية الملك جورج السادس الى كالينين : « ان المقاومة العنيدة لستالينجراد قد قلبت الأحداث وأصبحت فاتحة للضربات الماحقة التى بثت الرعب فى صفوف أعداء المدنية والحرية ، وللتعبير عن الاعجاب العميق الذى أكنه وشعوب الامبراطورية البريطانية ، فقد أعطيت الأمر بصنع « سيف استحقاق » ، وسوف يكون من دواعى سرورى تقديمه الى مدينة ستالينجراد . وآمل أن تذكر هذه الهدية فى الأيام السعيدة المقبلة بالبسالة الصلبة التى أبدتها المدينة والمقاتلون فى النضال

ضد هجمات الأعداء القوية العنيدة ، وأن تكون رمزا للاعجاب الذى تكنه لكم لا شعوب الامبراطورية فحسب ، بل والعـــالم المتمدين أجمع » .

وتابع الناس فى فرنسا المحتلة باهتمام شديد مجرى الأحداث عنـــد ستالينجراد . وأدرك الفرنسيون ، الذين أثارت اعجابهم صـــلابة ومأثرة الشـــعب الســـوفييتى البطوليـــة ، بأن هزيمـــة الهتلريين محققة فى الجبهة الشرقيـــة ـ على الأرض الروسية ، وبقوى الجيش الأحمر .

وفى ٩ فبراير عام ١٩٤٣ وجه الكاتب الفرنسى الشـــهير جان ريشار بلوك نداء بواسطة راديو موسكو جاء فيه : « اسمعوا ، أيها الباريسيون ! ان الفرق الثلاث التى كانت أولى الفرق التى اقتحمت باريس فى يونيـــو عام ١٩٤٠ ، قد محيت من الوجود ! لقد دمرت عند ستالينجراد : وانتقم الروس لباريس . وسينتقم الروس لفرنسا ! » (١)

وقال جارو ممثـــل اللجنـــة الوطنية الفرنســـية فى الاتحـــاد السوفييتى فى حديث مع مفـــوض الشعب للشئون الخارجية فى ٢٦ مارس عام ١٩٤٣ : « ان الرأى العام الفرنسى يدرك أن تحرير فرنسا سيأتى مع انتصـــار الجيش الأحمر ... ، ان شعبية الجيش الاحمر فى فرنسا عظيـمة » (٢) .

وزار ديجول رئيس الحكومة المؤقتـــة للجمهـــورية الفرنســـية مدينة ستالينجراد فى ٣ نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وسلم رئيس بلدية

---

(١) Jean-Richard Block. "De la France tragique à la France en armes". Commentaires à Radio-Moscou, 1941-1944, p. 266.

(٢) مجلة « العلاقات السوفييتية الفرنســـية » ، موســـكو ، ١٩٥٩ ، ص ١١٧ — ١١٨ .

المدينة لوحة كتب عليها : « الى ستالينجراد - من فرنسا الممتنة » وقال : « أود الاعراب عن تقديرى لستالينجراد ، وأن أشير الى الدرس الذى علمتنا اياه . وأنقل التحيات الحارة من الشعب الفرنسى المناضل الى ستالينجراد البطلة - كرمز لانتصاراتنا المشتركة على العدو » .

لم ينس الفرنسيون ما فعله الشعب السوفييتى من أجل تحرير وطنهم . وقد كتب فيلكس كير رئيس بلدية مدينة ديجون : « لا نستطيع ، نحن الفرنسيين ، أن ننسى ابدا هذه الصفحة التاريخية . ولهذا السبب ففى ذكرى النصر كل عام يرفرف العلم السوفييتى الى جانب العلم الفرنسى على واجهة مبنى البلدية فى مدينتنا .

وأستطيع حتى القول بكل اخلاص ، بأنه لو لم يجبر الجيش الروسى العدو على التراجع ، لكنا نحن الفرنسيين لا نزال نرضخ تحت السيطرة الأجنبية » .

ولقى التحول فى سير الحرب العالمية الثانية صداه لا فى انجلترا وفرنسا فحسب ، بل وفى الجانب الآخر من المحيط الأطلسى ، أى فى الولايات المتحدة الأمريكية . ففى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٢ كتب الرئيس الأميركى روزفلت الى ستالين يقول : « ان الأنباء القادمة من ستالينجراد قد بعثت فينا أقوى الآمال ، لذا فأبعث اليكم أحر التهانى » .

وفى ٥ فبراير عام ١٩٤٣ أرسل روزفلت الى ستالين برقية تهنئة بانتصار القوات السوفييتية فى ستالينجراد ، جاء فيها : « ان النضال الأسطورى الذى دام ١٦٢ يوما دفاعا عن المدينة ، وكذلك النتيجة الحاسمة التى يحتفل بها جميع الاميركيين اليوم ستكونان من أروع فصول هذه الحرب التى تخوضها الشعوب المتحدة ضد النازية واتباعها » .

كما أرسل روزفلت الى ستالين فى ٢٥ مايو عام ١٩٤٤، شهادتى تقدير لمدينتى ستالينجراد ولينينجراد • وجاء فى الشهادة المقدمة الى ستالينجراد ما يلى : « باسم شعب الولايات المتحدة الأميركية أقدم هذه الشهادة الى مدينة ستالينجراد تعبيرا عن اعجابنا ببسالة المدافعين عنها ، والذين ستكون شجاعتهم وقوتهم المعنوية وتضحيتهم أثناء الحصار من ١٣ سبتمبر عام ١٩٤٢ وحتى ٣١ يناير عام ١٩٤٣ مبعثا للالهام فى قلوب جميع المحبين للحرية . أن انتصارهم العظيم قد أوقف موجة الغزو وأصبح نقطة تحول فى حرب الأمم المتحالفة ضد قوى العدوان » •

وكتب المؤرخ العسكرى الأميركى مونتروس فى عام ١٩٤٦ يقول : « ليس هناك احتمال للمغالاة فى تقدير الأهمية المعنوية لانتصار الروس • فبعد استسلام بقايا الجيش السادس تفتحت أمام القادة النازيين آفاق الاندحار النهائى » (١) •

ونجد على صفحات المجلة البحرية الاميركية « يونايتدستيتس نيفال انستيتيوت بروسيدنجز » اعترافا بأن « التحول فى الحرب البرية قد تم فى ستالينجراد قبل عام من الانزال فى نورماندى » (٢) •

وتشهد الصحيفة الأميركية « كورير جورنال » ببلاغة عن رد الفعل الذى أثارته الأحداث عند ستالينجراد فى الأوساط العسكرية والسياسية للولايات المتحدة الأميركية • فقد كتبت فى ٤ نوفمبر عام ١٩٤٣ تقول : « ان دروس ستالينجراد واضحة للعيان ، لكن هناك من لا يحب صاحب هذه الدروس . اذ يرتجف الكثيرون ، ممن أثارت شجاعة الروس اعجابهم ، لدى التفكير

---

(١) L. Montross. War Through the Ages. New York, 1946, p. 875.

(٢) US Naval Institute Proceedings. N.I. 1952, p. 49.

بأنه ينبغى تقديم الحساب فى مؤتمر السلام لما أبداه الروس هناك من روح وصمود وارادة لا تلين » .

وترددت أقوال كثيرة حول انتصار الجيش السوفييتى عند ستالينجراد ، فى مختلف الأزمان ، وفى بلدان أخرى من قارات أوروبا وأفريقيا وأميركا .

فكتب هانز شيفريج ، وهو من الشخصيات الثقافية التقدمية فى الدانمارك وكاتب روائى ساخر وفنان وصحفى ، يقول فى كتابه « رحلة فى الاتحاد السوفييتى » الصادر عام ١٩٥١ : « انهم يحتفظون ببيت بافلوف كرمز لنضال ستالينجراد . وقد بلغ النازيون هذا البيت ، لكنهم لم يتجاوزوه . وفى أثناء القتال الدموى اليائس المجنون تم هنا انقاذ الحضارة البشرية ... ان ستالينجراد ليست مدينة للسائحين ، بل كعبة يزورها الناس باحترام عميق » .

وكتبت مجموعة من الأدباء الهنود فى سجل زيارات متحف الدفاع : « حازت ستالينجراد لا اعجاب شعوب العالم أجمع فحسب بل وعلى امتنانهم أيضا . اذ حولت بانتصارها البطولى مجرى التاريخ ، وأنقذت البشرية من العبودية الفاشية ... » .

ويعترف مؤلفو كتاب « تاريخ الحرب فى المحيط الهادى » الصادر فى اليابان بأن « انتصار الجيش السوفييتى عند ستالينجراد قد وجه ضربة لا الى ألمانيا فقط بل والى اليابان أيضا » .

ويتضح من الأقوال التى أوردناها آنفا الاستنتاج التالى : ان معركة الفولجا كانت فعلا الحدث الذى يمثل التحول فى الحرب العالمية الثانية كلها . ونتيجتها النهائية هى تحطم الجيوش الألمانية الفاشية ، الذى يعتبر هزيمة منكرة لم يعرفها أى جيش

فى تاريخ العالم كلــه • وقد حال انتصــار الجيش الأحمر دون انتشار العمليات الحربية فى الشرقين الادنى والأوسط ، وصــان بذلك البلدان المحبة للسلام فى هــذه المنطقة من الغزو الفاشى ، وقد حدد انهزام الجيوش الألمانية الفاشية عند ستالينجراد مسبقا حتمية الهزيمة النهائية الألمانية الهتلرية فى الحرب .

كما اضيفت الى الهجوم المضاد الذى شنه الجيش الأحمر عند ستالينجراد ضربته ضد قوات العدو المحاصرة للينينجراد •

وكان الجيش الألمــانى الفــاشى منذ يونيــو عام ١٩٤١ يقوم بالهجــوم على لينينجراد فى آن واحد مع الهجــوم فى الاتجاهين الأوســط والجنوبى . وكانت خطط القيــادة الهتلرية قد رسمت لاحتلال المدينة بانتهاء الأسبوع الثالث بعد بداية الحرب • لــكن محاولات زحف النصر تجاه لينينجراد قد منيت بالفشل • وتأجل موعد الاستيلاء على المدينة من أول أغسطس الى ١٥ أغسطس ، ثم الى أول سبتمبر وهكذا • وحاول العــدو الاستيلاء على المدينة بالحصار الطويل • وهكذا بدأ حصار لينينجراد •

وفى هذه المناســبة أصدرت القيــادة الهتلرية الأمر التالى : « اذا ما جاءت ، نتيجة للوضع الناجم فى المدينة طلبات والتماسات حول الاستسلام ، فيجب رفضها ••• » (١) •

وبعــد أسبوعين صــدر أمر آخر يقــول : « يجب عدم قبول استســلام لينينجراد ، ومن بعــدها موســكو » (٢) • لكن رغم توقعات الغــزاة الفاشست فلم تأت من جانب سكان لينينجراد أى طلبات للاستسلام • وبدأ النضال البطولى للمدينة الباسلة •

---

(١) من التوجيه السرى الصادر فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٤١ بعنوان « حــول مستقبل مدينة بيترسبورج » •

(٢) من التوجيه الصادر فى ٧ اكتوبر عام ١٩٤١ •

وتحملت لينينجراد بثبات الحصار المضنى الطويل . وفى ظل هذه الظروف الشاقة بدرجة خيالية قامت قوات جبهتى لينينجراد وفولخوف بتوجيه ضربة للعدو ، تهدف الى فك الحصار وتوسيع الاتصال بـ « الأرض الكبرى » .

ان توجيه هذه الضربة للعدو بنجاح قد أدى الى اجبار الفنلنديين أتباع هتلر الى العدول عن اجراء العمليات التى رسموها ضد خطوط مواصلات الاتحاد السوفييتى الشمالية . وفى الوقت نفسه تهيأت الظروف للتحضير لضربة جديدة أقوى من سابقتها تستهدف تحرير لينينجراد كليا .

وأعلن المعلق الحربى الانجليزى روفين - روبنسون ، الذى لا يميل أبدا لكيل المديح للاتحاد السوفييتى ، بأن فك حصار لينينجراد « ليس له مثيل فى سجلات تاريخ الحرب ، وأشار الى أنه « ... مادام الروس قد حطموا العدو ، فانهم لن يعطوه فرصة للراحة . وأصبحت السمة الأساسية للاستراتيجية السوفييتية هى تطويق الجيوش الألمانية المتفرقة » (١) .

كما أن أعداءنا السابقين لم يلتزموا الصمت بالنسبة للأحداث عند لينينجراد . فكتب الجنرال ايرفورت ممثل ألمانيا فى السابق لدى القيادة الفنلندية : « كان لنبأ فك الحصار فى فنلندة دوى القنبلة » (٢) .

وتضمنت برقيات ورسائل التهنئة العديدة الواردة من الخارج بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس الجيش الأحمر ، مشاعر الاعجاب بانتصاراته ، والتقدير لخدماته تجاه الانسانية .

---

(١) "The Navy". February, 1943.

(٢) W. Erfurth. Der finnische Krieg 1941-1944 Wiesbaden 1950, S. 117-118.

فكتب روزفلت يقـول : « ... أود أن أعرب عن تقـديرى للشعب الروسى ، الذى ينهل الجيش الأحمر من منابعه ، والذى يستمد منه الجنود والامدادات ... أن الجيش الاحمر والشعب الروسى قد أجبرا بلا ريب القوات المسلحة لهتلر على أن تسير فى طريق الهزيمة النهائية ، وحازا لمدة طويلة اعجاب شعب الولايات المتحدة » .

وجاء فى برقيـة ستيمسون وزير حربيـة الولايات المتحدة الأميركية ما يلى : « أثارت الحملة الشتوية للجيش الأحمر اعجاب العالم أجمع ... وستبقى قصة هذه الحملة حية على مر الأزمان ما دام الناس يحترمون الجرأة والبطولة » .

وكانت رسالة الدكتور جونسون أسقف كاتدرائية كنتربرى تفيض بالمشـاعر والتمنيات الودية ، وجاء فيهـا بشكل خاص : « ان انتصارات الجيش الأحمر لا مثيل لها فى تاريخ الحروب » ويمكن أن تفسر النجـاحات الرائعـة للجيش الأحمـر بوجود الاشتراكيـة . فمما يلهم الجيش الأحمـر لهذا النضـال ادراك حقيقة أنه يحـارب لا من أجل تخليص بلاده من براثن الوحشية الفاشية فحسب ، بل ومن أجل أن يحرر الانسانية جمعاء من كل ما يحمل فى طياته الظلام والتأخر والبربرية .

ان مهمة الجيش الأحمر لم يتم تنفيذها بعد ، لكننى على يقين ... من أن أوروبا المحررة والناهضة ستستقبل الجيش الأحمر المنتصر بالترحاب فى جميع عواصم البلدان المضطهدة حاليا » .

انهاء التحول الجذرى فى سير الحرب

قررت القيادة الهتلرية بعد أن أصيبت بهزيمة منكرة عند ستالينجراد ، أن تحاول رغم ذلك ، ومرة أخرى ، استعادة زمام المبادرة الاستراتيجية التى فقدتها ، وأن تغير سير الحرب لصالحها . وتقرر اجراء عملية هجومية ضخمة (خطة « القلعة ») على الجبهة السوفييتية الألمانية فى منطقة رأس جسر كورسك ـ أورلوف . وتهدف هذه العملية الى تحطيم المجموعة الضخمة للقوات السوفييتية والقضاء عليها ، ومن ثم توجيه ضربة سريعة الى مؤخرة الجبهة الجنوبية الغربية ، فاذا ما جرت الأحداث بشكل ملائم يجرى تطوير النجاح الى الشمال والشرق ، والقيام بحركة التفاف حول موسكو .

وجرى التأكيد فى الأمر الصادر بتاريخ ١٥ أبريل على أهمية عملية « القلعة » : « يولى هذا الهجوم الدرجة الأولى من الأهمية . ويجب تنفيذه بسرعة ونجاح . ويجب أن يمنحنا زمام المبادرة خلال ربيع وصيف هذا العام . وبهذه المناسبة ينبغى اجراء كافة أعمال التحضير لها بكل نشاط واحتراس . ويجب أن تستخدم فى اتجاه الضربة الرئيسية أفضل التشكيلات ، وخير الأسلحة ، وأحسن القادة ، وكميات كبيرة من الذخائر .

ويجب على كل قائد وجندى أن يمعن فكره فى أهمية هذا الهجوم . ان النصر عند كورسك ينبغى أن يكون شعلة تنير العالم أجمع » (١) .

---

(1) H. A. Jacobsen. 1939-1945. Der zweite Weltkrieg in Chronik und Dokumenten. Dalmstadt. 1959, S. 544.

وحذر هتلر فيلدمارشالاته من فشل الهجوم ، وأن التراجع حتى الى المواقع التى ينطلقون منها معناه الهزيمة (١) •

وباعتراف المؤرخين فى المانيا الغربية ، فقد زج بكل « ما لدى الصناعة الالمانية من قدرة » و « أوروبا المحتشدة » (٢) من أجل ضمان نجاح العملية • » وزجت كل القوة الهجومية التى كان الجيش الألمانى قادرا على تجميعها من أجل تنفيذ عملية « القلعة » (٣) •

ان القيادة الهتلرية قد أولت اهمية كبرى للعملية ولذلك فقد خصصت للمشاركة فيها بصورة مباشرة وغير مباشرة حوالى ٧٠ فرقة تضم : ما يقرب من ٩٠٠ ألف جندى وضابط من القوات البرية ، وحوالى ١٠ آلاف مدفع وهاون ، و ٢٧٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة وأسطولين جويين ـ السادس ويحتوى على ٩٠٠ طائرة ، والرابع ـ ويحتوى على حوالى ٩٦٠ طائرة •

وقبل بدء العملية توجه هتلر بخطاب الى القوات جاء فيه : « ستشاركون منذ اليوم فى معارك هجومية ضخمة ، قد تؤدى نتيجتها الى تحديد مصير الحرب • ان انتصاركم سيقنع العالم أجمع أكثر من أى وقت مضى بأن أى مقاومة للجيش الألمانى هى على كل حال أمر لاطائل من ورائه .. ان الضربة الماحقة التى ستوجه الى الجيوش السوفييتية يجب أن تهزها من الأساس ••• يجب عليكم أن تعرفوا بأن كل شىء يتوقف على نجاح هذه المعركة ••• »

لكن رغم الاستعداد الشامل الطويل ، فقد تطورت العملية بشكل مغاير لما خططت له القيادة الألمانية العليا • واستطاعت

---

(١) H. Guderian. Erihnerungen eines Soldaten. Heidelberg, 1951, S. 283.

(٢) K. Zentner. Nur einmal konnte Stalin siegen. Hamburg 1952, S. 35.

(٣) W. Erfurth. Die Geschichte des Deutschen Generalstabes von 1913 - bis 1945. Berlin-Frankfurt 1957, S. 304.

القيادة السوفييتية ان تحدد بشكل صائب اتجاه الضربات الرئيسية وحشدت القوى اللازمة فى قوس كورسك فى الوقت المناسب .

وكان من نتيجة ذلك ، وبفضل الاستطلاع الجيد وقيادة القوات بصورة دقيقة ، أن قابلت القوات السوفييتية هجوم العدو الذى بدأ يوم ٥ يوليو ، بصورة منتظمة ، وحولته الى معارك دفاعية ، وانتقلت بنفسها الى هجوم مضاد حاسم .

وفى ٨ يوليو ، أى فى اليوم الذى كانت فيه الدعاية الألمانية الرسمية تحاول أن تنكر الهزيمة ، أعلنت بأن « النظام الدفاعى للعدو الموزع بتشكيلات عميقة فى الغابات والمناطق السكنية قد تحطم ... » ، وأنه انهالت على القوات الألمانية فى اتجاه أبويان « هجمات مضادة شنيعة ، شاركت فيها أعداد هائلة من القوى البشرية والمعدات » .

ويشهد الجنرال ويستفال « بأن القوات المدرعة الألمانية لم تستطع أبدا أن تتفادى الضربة التى وجهت اليها عند بيلجورود » .

ويعلن الجنرال فون بوتلار : « ... بأن المحاولة الأخيرة للألمان من أجل أخذ زمام المبادرة فى العمليات من جديد فى الشرق قد باءت بالفشل » .

ويعترف الجنرالات الألمان بأنه « تم القضاء على خيرة وحدات الجيش الألمانى فى معركة كورسك التى هاجمت فيها القوات بعزم يائس من أجل النصر أو الموت ... »

ويورد المؤرخ الألمانى الغربى جورليتز بأسف « بأن واقع الحال كان يعنى أن المعركة الصيفية الضخمة التى جرت فى قوس كورسك كانت بالنسبة للجيش الألمانى بداية الأزمة المميتة » (١) .

---

(١) W. Görlitz. Der. zweite Weltkrieg Bd. II, S. 211.

وكتب الجنرال الهتلرى مانشتين يقـــول : « كانت عملية « القلعة » آخر محـــاولة للحفاظ على مبـادرتنا فى الشرق ... وبفشلها تحول زمام المبادرة كليا الى الجانب السوفييتى . وتعتبر عملية « القلعة » من هــذه الناحية نقطة تحول حاسمة فى الجبهة الشرقية » (١) .

وقد افرد الجنــرال جودريان فى كتـــابه « مذكرات جنـــدى » مســاحه كبيرة للأحداث التى جرت عنـــد كورسك . وجاء فى مذكراته : « بأنه نتيجة لفشـــل هجوم « القلعة » فقد أصبنا بهزيمة شنيعة . وتعطلت عن العمـل لفترة طويلة القوات المدرعة التى كانت قد استكملت بصـعوبة بالغـــة ، وذلك بسبب الخسائر الكبيرة فى الرجال والمعدات . وأصبحت موضعا للشك امكانية اعادة تكوينها فى الوقت المناسب للقيـــام بالاعمال الدفاعية فى الجبهة الشرقيـــة ، وكذلك لتنظيم الدفاع فى الغـرب فى حالة حدوث الانزال الذى كان الحلفــاء يهــــددون باجرائه فى الربيع القادم ... ولم يعد هناك أيام هادئة فى الجبهة الشرقيـــة . اذ تحولت المبادرة كليا الى العــدو » ، « ... وبعـــد تحطم خطة « القلعة » سحبت الجبهة الشرقية كافة القوات من فرنسا » (٢) .

وأثارت النجاحات الحربيـــة للجيش الأحمـــر فى صيف عـــام ١٩٤٣ صدى واسعا فى بلدان التحالف المعادى لهتلر .

ففى ٦ اغسطس بعث روزفلت الى رئيس الحكومة السوفييتية برسالة خاصة جاء فيها ما يلى : « خلال شهر من المعارك الجبارة أوقفت قواتكم المسلحة ، بمـــا تتمتع به من مهـــارة وجراة وعناد وتضحية بصفة خاصة ، الهجوم الألمانى الذى أعد من فترة طويلة كما بدأت الهجوم المضاد بنجاح ، ذلك الهجوم الذى ستكون له

---

(١) E. Manstein. Op. cit. S. 473.

(٢) H. Guderian Op, cit, S. 284.

آثار بعيدة المدى .. ويمكن للاتحـاد السـوفييتى ان يفخر حقا بانتصاراته البطولية » •

وأشارت الى هذا وزارة الحربية فى الولايات المتحدة الاميركية في بلاغاتها الاسبوعية حول العمليات الحربيـة الجارية على كافة الجبهات بقولها :

« فى ٣١ يوليو • أحبطت القوى الروسية الهجوم الألمـانى فى جبهة طولها ١٦٠ ميـلا تمتد من أوريول وعبر كورسـك الى بيلجورود • ان الهجمات المضادة الروسية ترغم الألمان على التراجع وينتقل زمام المبادرة الى القوات السوفييتية » (١) .

وفى ٦ أغسطس ١٩٤٣ كتب ليدل هارت بقول : « ان احتلال الروس لأوريول الواقعة الى شـمال كورسك ، يعتبر أعظم نصر خلال فترة الحرب •••• وسيكون التأثير النفسى لهذا النصر على الألمان رهيبا » (٢) •

وفى ٧ اغسطس قالت الديلى اكسـبريس : « ان الانتصارات في روسيا قد هيـأت (للحلفاء ـ المؤلف) امكانية محـددة فى البحر الأبيض المتوسط • ان هتلر كان يستطيع ابقاء موسولينى فى السلطة بعشر فرق المانية لكنه لم يكن يسـتطيع أن يسـحب من روسيا حتى هذا العدد الصغير من القوات » •

وفى اليوم نفسه أذاع راديو لندن « أن الألمان لم يعرفوا مثل تلك الهزيمة ، التى لقوها فى أوريول وبيلجورود ، حتى فى عام

---

(1) Prelude to Invasion. An Account Based upon official Reports by Henry L. Stimson, Secretary of War. Washington, 1944, p. 138.

(2) "Daily Mail" 6, VII. 1943.

١٩١٨ • وستذكر الأجيـال أن الجيش الأحمر قد وجه ضربة قاسية للألمان ، وأظهر بذلك جرأته ومهارته » •

وهنأ تشرشل ستالين فى ١٢ آغسطس قائلا : « ان برقيتكم المؤرخة فى ٩ اغسطس تتيح لى الفرصة لأعرب لكم عن تهانى الخالصة بمناسبة الانتصارات الهامة التى أحرزتها الجيوش الروسية منذ فترة وجيزة فى أوريول وبيلجورود ، وقد فتحت لكم الطريق لمواصلة الهجوم باتجاه بريانسك وخاركوف • ان هزائم الجيش الألمانى فى هذه الجبهة تعتبر علامات مميزة فى الطريق الى نصرنا النهائى » •

كما نشرت صحيفة « رينولدز نيوز » مقالة هامة بتاريخ ٢٢ أغسطس عام ١٩٤٣ جاء فيها : « ••• تحمل روسيا عبء الحرب منذ سنتين • والآن يقف الجيش الأحمر فى الجبهة الشرقية وجها لوجه أمام ٢٠٠ فرقة المانية ، ناهيك عن العديد من فرق البلدان التابعة لألمانيا • ففى صقلية لقينا مقاومة من ٤ فرق ألمانية وعدة فرق ايطالية •

••• وجرى أفهامنا بأنه اذا ما سحبنا تجاهنا ٦٠ أو ٤٠ فرقة من الجبهة الشرقية فى لحظة قيام الجيش الأحمر بهجومه الحالى فان الحرب فى أوروبا يمكن أن تنتهى لصالح الحلفاء فى هذا العام • لكن الذى حدث هو غير ذاك ••• » •

ومضت الصحيفة تقول أن القيادة الأميركية والانجليزية لم تكن تنسق سياستها مع حلفائها بصورة جيدة • وأوضحت الصحيفة بدقة أن : « القارىء يستطيع أن يدرك لماذا لا يحدث ذلك ولماذا لن يحدث فى المستقبل أيضا . أن الافراد الجالسين فى هوايت هول والبيت الأبيض لا يرغبون البتة فى أن تحرر الشعوب الأوروبية نفسها اعتمادا على جهودها الذاتية » •

وكانت نجاحات الجيش الأحمر عظيمة لدرجة أنها بدات تثير الى جانب موجات الفرح ، القلق الواضح بين بعض حلفائنا . وهذا

بالذات ما تضمنته برقية سميث رئيس اتحاد جنوب أفريقيا التى بعث بهـــا الى تشرشل فى ٣١ أغسطس عام ١٩٤٣ • وجاء فيها ما يلى : « قد يبـدو بالنسبة للرجل العادى أن روسيا هى التى تكسب الحرب • واذا استمر هذا الانطباع ، فماذا سيكون وضعنا على النطاق الدولى بعد الحرب بالمقـارنة مع وضع روسـيا ؟ ان وضعنا على النطاق الدولى قد يتغير بسهولة وتصبح روسيا سيدة العالم دبلوماسيا » . وكتب سميث فى نفس البرقية يقول : « ان مقارنة الجهود الانجلو ـ أميركية ، مع النظر بعين الاعتبـار الى مصادرنا الواسعة ، بجهود روسيا خلال نفس الفترة ـ معناه اثارة المسائل الدقيقة التى لابد وأن تخطر فى عقول كثير من الناس » (١)

وبالطبع كان ولا يزال فى انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا كثير من المؤرخين والسياسـيين والعسكريين وكتـاب المذكرات الذين لا يرغبون ألبتـة فى التطرق الى الأحداث التى جرت عند كورسـك فى صيف عام ١٩٤٣ ، ناهيك عن تأثيرها على السير اللاحق للحرب •

ولن تكتمل الصورة العامـة للقتال فى الجبهـة الشرقية عام ١٩٤٣ الا اذا أشرنا الى عـدد من الأحـداث الأخرى التى أعقبت معركة كورسك •

والمقصود بذلك هو العمليات الحربيـة التى جرت فى خريف عام ١٩٤٣ • فالمعـروف أن الجيش السوفييتى قد شـن ، بعد انتهاء معـركة كورسك ، هجوما عاما على جبهـة هائلة تمتد من فيليكيه لوكى وحتى شبه جزيرة تامان ، ووجه الضربات للعدو ، وزحف الى الغرب فى عمق يتراوح ما بين ٣٠٠ و ٦٠٠ كيلو متر • وتم خلال ذلك طرد الغزاة من منطقة واسعة منها الضفة الغربية

---

(1) W. Churchill, The Second World War. Vol. V, p. 126.

لأوكرانيا كلها وشمال القفقاس وجزء من الضفة الشرقية لأوكرانيا وشرق بيلوروسيا •

وتحطمت منذ بداية هجوم يوليو ١٩٤٣ وحتى نهــاية العام ١١٨ فرقة ألمانية فاشية أى ٥٠٪ من مجموع قوى العدو العاملة على الجبهة السوفييتية الألمانية •

كيف كان تقدير الألمان أنفسهم للموقف فى الجبهة السوفييتية الألمانية ؟

جاء فى تقرير ايودل الى القيــادة العليا بتاريخ ٧ نوفمبر عام ١٩٤٣ ما يلى : « اذا ما وصفت موقفنا العام ، فينبغى على تسميته بالموقف العسيروأنا لا أود أبدا أن أخفى حقيقـــة أننى أضع فى الاعتبار احتمال حدوث أزمات جديدة ثقيلة » •

وكتب المؤرخ الانجليزى فوللر فى وصـــفه لتطور الأحداث فى بداية نوفمبر يقول : « لقد أدت الأعمال الهجومية على جبهات كوبيف ومالينوفسكى وتولبوخين ، التى أصبحت أسماؤها الآن الجبهات الأوكرانية الثانية والثــالثة والرابعة « الى وضع الألمان فى منعطف الدنيبر فى نفس الوضع الذى كان فيه الجيش الالمانى الســادس عند ستالينجراد » •

وساند روزفلت فى عام ١٩٤٣ وقبيل انعقاد مؤتمر طهران لرؤساء الحكومات ، افتتاح الجبهة الثانية فى أوروبا ، وقال : « ولكن اذا سارت الأمور فى روسيا على المنــوال الذى تسير فيه الآن ، فلربما لا تكون هناك أبدا ضرورة للجبهة الثانية فى الربيع القادم » •

وبعد مؤتمر طهران أعلن كثير من القادة الانجليز البارزين أن هتلر قد لا يصمد أمام حملة الربيع لعام ١٩٤٤ وبذلك « ستكسب روسيا الحرب بدوننا » (١) •

(١) A. Rothstein. History of the USSR. Middlexe 1951, p. 364.

الانتصارات الحاسمة للجيش الأحمر
هزيمة العدو فوق أراضى الاتحاد السوفييتى
بداية تحرير شعوب أوروبا من نير العبودية الفاشية

فى بداية عام ١٩٤٤ واصلت ألمانيا والبلدان التابعة لها الاحتفاظ بالقوى الرئيسية لجيوشها فى الجبهة الشرقية كما كان شأنها فى الأعوام السابقة • فحشدت هناك ٢٣٦ فرقة و١٨ لواء يبلغ مجموع تعدادها ٤ ملايين و ٩٠٦ آلاف جندى كانت مسلحة بـ ٥٤٥٧٠ مدفعا وهاونا و ٥٤٠٠ دبابة ومدفع هجوم (ذاتى الحركة) و ٣٠٧٣ طائرة •

وفى هذه الظروف بدأت القيادة السوفييتية اجراء سلسلة جديدة من العمليات المترابطة التى تستهدف مواصلة تحطيم العدو ، وطرده من الأراضى السوفييتية •

وكانت عملية سحق تجمعات العدو المحاصرة للينينجراد من الجنوب من أوائل العمليات التى أجريت عام ١٩٤٤ •

وفى ١٤ يناير وجهت الضربة للعدو من منطقة أورانيينباوم •

وفى ١٥ يناير بدأ الجيش الثانى والأربعون لجبهة لينينجراد العمليات الحربية جنوب المدينة •

وبذلك انتهى الدفاع عن المدينة الذى لا مثيل له فى التاريخ ، والذى استمر حوالى ٩٠٠ يوم . وكانت ضربة الجيش الاحمر هذه هى بداية تحطيم كل الجناح الاستراتيجى الشمالى للجيوش الألمانية الفاشية •

وكتب الجنرال الهتلرى تيبلسكيرخ فى تقديره لتلك الأحداث يقول : « انهم لم يحرروا لينينجراد من حصـــار استمر سنتين فحسب ، بل وأجبروا القوات الألمانية على التراجع الى حدود دول بحر البلطيق • بالاضافة الى ذلك فان النجاحات التى أحرزوها فى هذه الجبهة قد أدت الى آثار سياسية حاسمة : فبعد ايطاليا ظهرت لدى فنلندا الشكوك فى النصر النهائى لألمانيا ومن ثم أخذت تسعى للاتصال بالعدو » •

وأثار نجاح قوات جبهتى لينينجراد وفولخوف تعقيبات كثيرة فى الصحافة الأميركيـــة . ورحبت جميع صحف نيويورك تقريبا بالانتصارات الرائعة الجـــديدة للجيش الأحمر • وكتبت جريدة « نيويورك تايمس » تقول : « سيكتب انتصـــارهم فى سجلات التاريخ كأسطورة بطولية من نوع خاص ••• ان لينينجراد تمثل روح الشعب الروسى التى لا ترضى بالهزيمة » •

وواصل الجيش الأحمر توجيه الضربات للعدو بعـد النجاح الكبير عند لينينجراد • وكان من نتائج احدى هذه الضربات التى تمت فى فترة ٢٤ ـ ٢٨ ينـــاير ، أن طوقت قـوات الجبهتين الأوكرانيتين الأولى والثانيـــة مجموعة ضخمة من قوات العدو فى منطقة كورسون ـ شفتشنكو ، مؤلفـــة من حوالى عشر فرق ، وسحقتها تماما فى ١٧ فبراير •

ووصف راديو لندن هذه العملية فى ١٨ فبراير بأنها انتصار رائع جديد للجيش الأحمـــر . وأعلن معلق الراديو باتريك ليسى « أن أهم الأنباء القادمة من روسيا هى أولا نبأ سكرة الموت التى تعانيها عشر فرق ألمانية محـــاصرة فى منطقة كورسون ، والآخر هو نبأ انهاء عملية سحقها ••• ان النجاح الجديد للجيش الأحمر سيخلف آثارا استراتيجية خطيرة على تطور العمليات العسكرية فى الجبهة الجنوبية » •

وبالاضافة الى تحطيم تجمعات قوات العــدو فى كورسون ـ شفتشنكو ، فان الجيش الأحمر حرر فى ينــاير ـ فبراير عددا من المدن الكبيرة هى : لوتســك وروفنو ولوجا وكريفــوى روج وغيرها .

وبكلمة أخرى فان الجيش الأحمر قد أظهــر من جديد ومرة تلو اخرى فعالية الاستراتيجية السوفييتية ، وفن القيادة الرفيع وبسالة وبطولة الجنود والضباط ، وتفوق المعدات والسلاح .

وجاء فى تحية الجنرال ايزنهاور المرسلة الى المجلس القومى للصداقة الأميركية ـ السوفييتية ما يلى : « ... شــــهد العالم واحدة من أكثر المآثر بسالة فى تاريخ الحروب الدفاعية ، عندما جابه جنود الجيش الروسى كل قوة ضربات آلة الحــرب النارية وأوقفوها نهائيا . وشهدنا الآن ملحمة حربية أعظم ، وهى الهجوم الجبار الذى يوجه فيه نفس ضباط وجنود الجيش الأحمر ضربات أكثر قسوة ، وهم يطاردون العــدو من الأراضى التى اغتصبها الى عرينه الذى تحول الى أنقاض » .

وفى ٢١ فبــــراير أقيمت حفلة اســـتقبال كبرى فى فندق « كومودور » بنيويورك تكريما للجيش الأحمر حضرها أكثر من ١٥٠٠ مدعو ، من بينهم كبار ضباط الجيش الأميركى والانجليزى وغيرهم من المسئولين البارزين ، وألقى ممثل وزارة الحربية فى الولايات المتحدة خطابا جاء فيه : « ان الأميركيين ، شأنهم شأن غيرهم من شعوب الأمم المتحدة ، مدينون بالكثير للجيش الأحمر ... ان جميع الرجال والنساء الواعين فى أميركا يدركون بصورة شاملة الدور الذى يلعبه الجيش الأحمر منذ أن دوت الطلقة الأولى بالجبهة الشرقية فى يونيو عام ١٩٤١ » .

وأرســـل رئيس أركان الجيش الأميركى الجنرال مارشال برقية الى المشتركين فى الاحتفال المنعقد فى نيويورك جاء فيها :

« ان الاحتفال بيوم الجيش الأحمر يتم فى هذا العام فى الوقت الذى يتراجع فيهالألمان بشكل مفجع فى كل الجبهة الشرقية .

... اننا نشاركم الفخر والاعجاب بنجاحاته (أى الجيش الأحمر ـ المؤلف) الخـــارقة ، وبشجاعة وصمود جميع جنوده والشعب الروسى ، الذى قدم مثل هذه الضحايا الكبيرة ، من أجل أن يحقق النصرالتاريخى العظيم على أقوى وأقسى عدو فى العالم ».

وفى نفس تلك الأيام بعث نيلسون رئيس أدارة شئون الانتاج الحربى فى الولايات المتحـدة الاميركيـة التحية التاليـة : « من الطبيعى ألا يســـتحق أى جيش على الاطلاق اعجـــاب وامتنان الشعوب المحبة للحـــرية أكثر من الجيش الاحمـر فى يوم عيده هذا » .

وفى ٢٣ فبراير أعلن ايفات وزير خارجية استراليا فى اجتماع عقد بملبورن ، ما يلى : « .. وبصفتى وزيرا للخارجية أود التعبير عن أعجابى ببسالة الجيش الأحمر . ان هذا الجيش يقترب من يوم النصر النهائى بعد نضال قاس طويل . وباعتبارنا رفاق سلاح فاننا ننضم الى الاتحاد السوفييتى ونحيى الجيش الأحمر الذى حار اعجاب العالم أجمع » .

ومن الصعب أن نعبر بالكلمات عن الحب العمق والود الذى تضمنته التحيات والتهانى الصادرة آنذاك عن الاوساط العريضة للشعبين الانجليزى والامريكى ، التى كانت تدرك جيدا ان الجيش الاحمر قد انقذ العالم من الطغيـــان الفاشى ، وبانه يقـوم بتحرير الشعوب المستعبدة ، وهو بالذات الذى يلعب الدور الحاسم فى هزيمة المانيا الهتلرية واتباعها .

وشهد ربيع عام ١٩٤٤ ضربات ساحقة جديدة وجهها الجيش الاحمر للغزاة الفاشست .

وكانت انباء نجاحات الجيش الأحمر فى القتال تحتل اماكن بارزه على صفحات الصحف الاجنبية .

فكتبت مجلة « مانيانا » المكسيكية تقول : « يواصل الالمان التراجع ، ولن يتمكنوا من ايقاف تقدم الروس فى اى منطقة من الجبهة الكبيرة . ويشن الروس الهجمات تارة فى هذا القطاع وتارة فى قطاع آخر ، دون ان يمنحوا العدو فرصة لالتقاط انفاسه ويتقدمون بسرعة قياسية ! » .

ونشرت برقيات عبور الجيش الاحمر لنهر الدنيستر تحت عناوين ضخمة . وأشارت « نيويورك هيرالد تريبيون » فى ٢٢ مارس الى أن هذه العملية تشهد على أفدح هزيمة منيت بها المواقع الالمانية . وقالت بانه قد أصبح واضحا ان الجيش الأحمر انزل بالالمان هزيمة ساحقة جديدة ، وتعتبر واحدة من اكبر هزائمه خلال فترة الحرب كلها . وبينت الجريدة انه مما يثير العجب النتائج السريعة الى حد لا تصدق للهجوم الروسى فى موسم تكثر فيه الاوحال ، وكذلك نطاقه الذى لم يعرف له مثيل .

وفى ٢٦ مارس القى تشرشل بيانا بالراديو . وعندما تطرق للحديث عن الوضع فى الجبهة الشرقية أعلن ان « الشعبين الانجليزى والامريكى نفيضان بالأعجاب الخالص للانتصارات الحربية التى حققها الشعب الروسى » . وقال : « لقد اعربت اكثر من مرة عن تقديرى لمآثره العظيمة ، وينبغى على الآن القول بأن تقدم جيوشه من ستالينجراد الى دنيستر ، وحيث يقترب الروس الآن من بروت ، زاحفين خلال عام واحد مسافة ۹۰۰ ميل ، يعتبر أكبر سبب لاندحار هتلر » .

واثار بلوغ قوات الجبهة الاوكرانية الثانية حدود الاتحاد السوفييتى يوم ٢٦ مارس أصداء جديدة .

واكدت صحيفة « ستار » الصادرة فى مونتريال على الاهمية التاريخية لبلوغ الجيش الأحمر حدود تشيكوسلوفاكيا . وعقبت على تراجع الألمان الى هذه الحدود « بأن الليلة الطويلة الشنيعة للاحتلال الهتلرى قد قاربت نهايتها » .

وفى ٩ مايو عام ١٩٤٤ عاد العلم السوفييتى يرفرف فوق سباستبول .

وفى ١١ مايو أعلنت صحيفة « ديلى هيرالد » بأن الاستيلاء على قلعة سباستبول يعتبر انتصارا للفن التكنيكى للجيش الأحمر . وكتب جريدة « ايفننج ستاندارد » فى ذلك الوقت أيضا بأنه « اذا كانت سباستبول ـ وهى أقوى قلعة فى العالم ، لم تستطع ان تصد الهجوم ، فكيف تستطيع ذلك المنشآت الدفاعية الألمانية فى غرب أوروبا التى هى أقل منها قوة ؟ لقد أظهر الاستيلاء على سباستبول بأنه ليست هناك قلعة قوية أو حامية رهيبة لا يمكن الاستيلاء عليها لدى توفير الاعداد اللازم وسعة الحيلة . وليس هناك نبأ أفضل من هذا بالنسبة لجنود قوات الحلفاء فى المناطق الاخرى » .

وكتب جودريان فى مذكراته : « أن معارك الشتاء الدامية الصعبة قد بثت البلبلة فى القيادة العليا للقوات البرية بصورة تامة . ولم يعد هناك أى مجال للحديث ... عن اعداد القوى للغرب ، حيث كان من المؤمل أن تقوم دول الحلفاء بالانزال فى الربيع » (١) .

ان الاقوال التى أوردناها حول الوضع فى الجبهة السوفييتية الألمانية تتيح لنا أن نخرج ببعض الاستنتاجات . ان سير الأحداث يشير الى ان آلة الحرب الهتلرية المتعطلة لم تعد قادرة على تنظيم

---

(1) H. Guderian. Op. cit. S. 293.

أى ضربات مضادة كبيرة فضلا عن الهجوم المضاد . ويشهد الهجوم السريع للجيش الأحمر ، وخسائر الألمان الفادحة ، وحدة هبوط الروح المعنوية للجيش الألمانى ، وبدء الخلافات بين القادة الهتلريين والتطاحنات بينهم وبين الفوهرر ، على أن الجيش الأحمر كان قادرا على أن يلحق بمفرده الهزيمة النهائية بالمانيا الهتلرية دون أن ينتظر فتح الجبهة الثانية .

ويرجع الى الجنرال الهتلرى تسيمرمان التعبير عن راى قيادة الجبهة الغربية ، « ... بأن الحرب مع الانجليز والاميركان فى فرنسا تتحدد نتيجتها الخاسرة فى الجبهة الشرقية قبل انزال الجيوش الانجلوسكسونية فى القارة » .

وكتب المؤرخ الألمانى الغربى ريكير يقول : « عندما قام الحلفاء الغربيون فى صيف عام ١٩٤٤ بالهجوم على « قلعة أوروبا » ، كانت نتيجة الحرب العالمية الثانية قد تحددت بهزيمة المانيا فى روسيا ... وكانت المانيا قد خسرت الحرب العالمية قبل هجوم الغرب ، وكانت القوات الألمانية قد ضعفت نتيجة القتال الشرس لمدة ثلاث سنوات فى شرق أوروبا الى درجة أنها لم تعد قادرة على بذل مقاومة حازمة للقوات الاميركية والانجليزية التى جرى انزالها فى نورماندى (١) .

ويشاركه فى هذا الرأى تماما الجنرال تسيمرمان رئيس قسم العمليات لقوات الجبهة الغربية الذى كتب يقول : « يمكن القول دون مبالغة بأن الجبهة الشرقية قد امتصت بالحاح من الجيوش الألمانية الموجودة فى الغرب القوى القادرة على القتال والمعدات الحربية . وكان من نتيجة ذلك أن الأعمال التكتيكية والتنظيمية فى الغرب أصبحت تقتصر على سد الثغرات » .

---

(١) K. Riecker. Ein Mann verliet einen Weltkrieg. Frankfurt a/m. 1955, S. 311.

ويستطرد قائلا : « ومنذ عام ١٩٤٣ اخذ الشيوخ المزودون بالأسلحة القديمة يؤلفون أساس الجبهة الغربية . ولم يكن الافراد ولا السلاح يتجاوبون مع متطلبات المعارك الطاحنة المنتظرة » .

ومما لا شك فيه أبدا ، ان كل ذلك قد سهل على الحلفاء الى درجة حاسمة فتح الجبهة الثانية .

وبدلا من أن تسهل الجبهة الثانية وضع الجيش الأحمر ، فانه قد خفف للحلفاء كثيرا مهمة فتحها .

ودخل يوم ٦ يونيو عام ١٩٤٤ التاريخ باعتباره يوم افتتاح الجبهة الثانية ضد المانيا الهتلرية .

وكما كتبت الصحافة الانجليزية فان « النبأ السار قد بلغ الجميع في لمح البصر . وسمعت كلمة « بدأ » فى كل مكان . ولم يكن أى انسان ليحتاج الى تفسير ما الذى بدأ » (١) .

واخذت الصحف الانجليزية والاميركية تصدر باعداد مضاعفة ، واخذ الراديو يذيع دون انقطاع تفاصيل اعداد الانزال والقيام به والقيت المنشورات على أراضى فرنسا وبلجيكا وهولندا كالمطر .

ولقى هذا الحدث صدى واسعا أيضا فى الصحافة السوفيتية . وتوالت الأنباء المستفيضة حول تطورات الاحداث فى نورمانديا ، ونشرت حولها المقالات ، واذيعت البرامج بالراديو وغير ذلك . وفى ١٣ يونيو عام ١٩٤٤ قدر ستالين تقديرا عاليا المهارة الحربية لقوات الحلفاء ، واكد على الاهمية التاريخية لافتتاح الجبهة الثانية .

---

(١) « الحليف البريطانى » رقم ٢٦ (٩٨) ، ٢٥ يوليو ١٩٤٤ .

ومما لاشك فيه أنه اذا ما أجرينا مقارنة بين العمليات التى قامت بها القوات المسلحة الانجليزية والاميركية قبل ذلك (مثل الغارة على دييب ، واعمال الانزال فى مدغشقر وشمال افريقيا وصقلية وسالرنو وانتسيو وغير ذلك) ، وبين الهجوم على شمال فرنسا من البحر والجو من حيث تركيب القوات ، وكذلك التعقيد الفنى والظروف فان الانزال كان عملية ضخمة فعلا . لكن ، رغم ذلك ، فان دور وأهمية الجبهة الثانية كوسيلة للتخفيف عن الجيش الأحمر ، والتعجيل بهزيمة المانيا وتقريب مواعيد انهاء الحرب ، كانا أقل بدرجة لا تقاس مما لو تم الأمر فى عام ١٩٤٢ أو عام ١٩٤٣ . ولكانت العمليات الفعالة لقوات الحلفاء فى ظل ظروف معينة قد أثرت بشكل فعال على سير الاحداث . الا أن هذا لم يحدث أيضا ، فان عمليات قوات الحلفاء قد تطورت ببطء ، ولم تجذب من الجبهة الشرقية ولا فرقة هتلرية واحدة .

لكن الدعاية الانجلو ـ اميركية قد ضخمت من أهمية الجبهة الثانية أكثر مما يجب . ولوحظت نفس هذه الميول لدى علماء التاريخ البرجوازيين فى غرب أوروبا فيما بعد الحرب أيضا ، اذ أضفوا أهمية كبرى على انزال الفرق الانجلو ـ أميركية على سواحل خليج السين واعتبروه العملية الرئيسية فى الحرب العالمية الثانية ، التى كان من نتيجتها ـ حسب زعمهم ـ أن هزمت المانيا الهتلرية .

ومن الواضح بطلان هذه المحاولات لتشويه تاريخ الحرب العالمية الثانية . فمنذ ذلك الحين اتضح تماما ، واثبت الزمن ذلك ، بأن اهمية الجبهة الثانية فى اندحار المانيا محدودة . وتحمل الجيش السوفييتى العبء الرئيسى فى النضال ضد الجيوش الهتلرية حتى نهاية الحرب . وكان الحلفاء يسعون قبل كل شىء الى الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية والاقتصادية المفيدة فى غرب أوروبا ، واعاقة تقدم الجيش الاحمر نحو الغرب وبذلك يحمون الرايخ

الهتلرى من احتلال القوات السوفيتية له وفى نفس الوقت يمنعون الانفجارات والهزات الثورية المحتملة فى عدد من بلدان أوروبا الغربية ، وبالأخص فى فرنسا .

وقد كتب حول هذا الموضوع الجنرال الاميركى برادلى يقول : « اذا لم يؤد سقوط « مرتفع الأطلسى » والانسحاب الى « خط سيجفريد » الى أن يسحب من جدول الاعمال تنفيذ عملية « اوفر لورد » (الانزال فى شمال فرنسا ـ المؤلف) بهذا الشكل أو ذاك ، فان الانهيار الشامل لألمانيا سيشوش جميع الخرائط وسيضطرنا الى وضع عملية « أوفر لورد » على الرف الى الأبد . لذا يجب علينا منعا للفوضى الشاملة أن نلقى كافة القوات المتوفرة لدينا الى أوروبا ، وأن نعبر المانش فورا ، ونقتحم المانيا وننزع سلاح قواتها ونمسك بأيدينا زمام السيطرة فى البلاد » .

ومن ناحية أخرى ، فعندما حان الوقت الذى قرر فيه الحلفاء اخيرا أن يفتحوا الجبهة الثانية ، كان الوضع فى فرنسا المحتلة قد نضج لانفجار الثورة الشعبية ضد المحتلين وضد خدام هتلر من الفرنسيين . وقد أثار ذلك قلق الأوساط الرجعية الانجلو ـ اميركية بشكل لا يقل عن الانهيار « المفاجىء » لألمانيا وتقدم الجيش الأحمر نحو الغرب . ويشير الى هذه الحقيقة المؤرخون اليابانيون فى كتاب « تاريخ الحرب فى المحيط الهادى » . وقد جاء فيه : « ان حركة المقاومة المعادية للفاشسية التى بداتها الجماهير الشعبية فى فرنسا ، وانتشرت فى غرب أوروبا ، وازدياد مكانة وشعبية الأحزاب الشيوعية التى قادت هذا النضال ، وقدمت أثناءه ضحايا أكبر من أى حزب آخر ، وبوجه خاص الهجوم الجبار الذى شنه الجيش الاحمر وحرر به كل أراضى بلاده من المحتلين الالمان واخذ يطارد القوات الألمانية الآن

نحو الغرب ـ كل هذه العوامل اضطرت تشرشل وروزفلت الى القيام بفتح الجبهة الثانية ، من اجل ابقاء اوروبا فى ايديهم » (1)

وبعد انزال القوات الانجلو ـ اميركية فى شمال فرنسا كان باستطاعة الجيش الأحمر أن يتيح لنفسه فرصة للراحة . لكن الاتحاد السوفييتى الأمين لواجبه كحليف ، واصل توجيه الضربات للعدو بنفس القوة ، دون تخفيفها .

وفى ١٠ يونيو عام ١٩٤٤ ، وطبقا للاتفاق الذى تم التوصل اليه فى مؤتمر طهران ، قامت قوات الجيش الأحمر بمجموعة جديدة من العمليات الهجومية فى الجبهة الشرقية .

وفى الفترة من يونيو الى أغسطس تم بنجاح الهجوم فى برزخ كاريليا وجنوب كاريليا الذى كان من نتيجته خروج فنلندا من الحرب .

وابتداء من ٢٣ يونيو وحتى نهاية أغسطس تم سحق مجموعة جيوش « الوسط » المعادية ، وتحررت بيلوروسيا وجزء من جمهوريتى لاتفيا وليتوانيا السوفيتيتين ، وجزء من الأراضى البولونية شرق نهر فيسلا ، وبلغت القوات حدود بروسيا الشرقية وفيسلا . وتحطمت الجبهة الاستراتيجية للعدو خلال فترة قصيرة الى عمق يصل حتى ٦٠٠ كم .

واستمرت العمليات الهجومية فى أوكرانيا ، وكان من نتيجة تنفيذ عملية لفوف ـ ساندومير أن هزمت مجموعة جيوش « شمال أوكرانيا » (تحطمت ٣٢ فرقة ودمرت ٨ فرق تدميرا تاما) . وتلت ذلك هزيمة مجموعة جيوش « جنوب أوكرانيا » ، وطرد الغزاة الهتلريين من مولدافيا السوفيتية ، وهزيمة القوات الالمانية فى جمهوريات حوض البلطيق السوفيتية وغيرها .

(1) « تاريخ الحرب فى المحيط الهادى » ، جـ٤ ، موسكو ، ١٩٥٨ ، ص٣٢-٣٣

وفى المرحلة الختامية لحملة الصـيف ـ الخريف ، قام الجيش الأحمر بعدد من العمليات لسحق القوات الالمانيـة الفاشية فى رومانيا وبلغاريا وسلوفاكيا ، التى بدأت فيها ثورات شعبية ضد المحتلين وانظمة الحكم الرجعية المحلية .

وفى اكتوبر عام ١٩٤٤ وجه الجيش الاحمر ضربة لمجموعة جيوش العدو فى المجر ، تم على أثرها خروج المجر من الحرب .

وفى الوقت نفسه قدم يد العون لجيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى فى تحرير بلغراد وطرد قوات الفزاة الالمان الفاشست من أراضى البلاد .

ومن الطبيعى أن أحداث نورماندىا لم تستطع أن تصرف انظار الرأى العام العالمى عن الوضـع على الجبهة السوفييتية الألمانية ، حيث كان يتقرر مصير نهاية الحرب كلها .

وكما كان الأمر سابقا ، فان الذكرى الثالثة لقيام الحرب الوطنية العظمى ضد المانيا الفاشية قد اثارت موجة من التعقيبات فى صحافة واذاعات الحلفاء .

فقال دىفيز سـفير الولايات المتحـدة السابق فى الاتحـاد السـوفييتى فى خطاب ألقـاه يوم ٢١ يونيو فى برنامج أعده مكتب الاستعلامات الحـربى للولايات المتحـدة الاميركية : « يجب على جميع الناس والشعوب الحرة فى يوم الذكرى السنوية لدخول الاتحاد السوفييتى الحرب أن يقدروا الحليف السوفييتى العظيم حق قدره ... فخـلال ثلاث سـنوات طـوال صـمد الشعب السوفييتى وقادته بثبات وبصبر هائل فى مواقعهم وقدموا للامم المتحدة فى العالم اجمع امكانية تجميع مواردها ووضع الخطط التى تعطى ثمارها اليوم ... » واستطرد دىفيز يقول : « ومنذ

هذا اليوم الذى نحتفل بذكراه اليوم أصبحت مسألة هزيمة العصابات الفاشية بصورة تامة مجرد مسألة وقت » .

وقال ايكيس وزير داخلية الولايات المتحدة فى مقالة نشرتها مجلة « سوفييت رشا توداى » : « ان أعظم هدية قدمها الروس للامم المتحدة هو الوقت ، الذى بدونه ما استطاعت انجلترا ان تداوى جراحها بعد دنكرك ، وما استطاعت الولايات المتحدة ان تقيم الانتاج الحربى على قدم وساق وان تكون الجيوش والاساطيل القادرة على توجيه ضربة بقوة كافية للعدو فى أوروبا » .

وفى ٢٦ يونيو كتبت المجلة الاميركية « جورنال » تقول : « ان قيمة مساعدتها (أى القوات السوفيتية ـ المؤلف) تبدو كما لو انها نفسها قد هاجمت واستولت على التحصينات فى الساحل الفرنسى ، اذ أن روسيا قامت بهجوم ضخم أجبر الألمان على ابقاء الملايين من قواتهم فى الجبهة الشرقية والتى لولا هذا لكانت قادرة بكل سهولة على ابداء المقاومة للامريكيين فى فرنسا » .

وقال السناتور بيبر فى خطاب القاه فى اجتماع عقد بقاعة « ماديسون سكوير جاردن » بنيويورك فى يونيو عام ١٩٤٤ : « ان العالم كله يقدم للسلاح الروسى ما يستحقه من مجد وعظمة لقاء الجرح المميت الذى أصاب به هتلر » .

وكتب تشرشل فى رسالة بعث بها الى ستالين فى أول يوليو يقول : « حان الآن الوقت الملائم لاعلامكم بمدى الانطباع الهائل الذى تركه فينا جميعا هنا فى انجلترا ذلك الهجوم الرائع للجيوش الروسية الذى يزداد قوة فيحطم الجيوش الألمانية الموجودة بينكم وفى وارسو ثم برلين » .

وفى ٧ يوليو عام ١٩٤٤ كتب ايزنهاور رسالة الى هاريمان السفير الاميركى بموسكو قال فيها : « اننى أتابع تقدم الجيش

الاحمر على خريطتى . وبالطبع فاننى اشعر بانفعال شديد للقوة التى يدمرون بها القوة المسلحة للعدو » (١) .

وفى ٩ يوليو كتبت صحيفة « جمهوريت » التركية مقالة بعنوان « الطريق الى برلين » جاء فيه : « اذا ما ازداد تقدم الروس على هذه الوتيرة ، فان القوات الروسية ستدخل برلين قبل أن تنهى قوات الحلفاء عملياتها فى نورماندى » (٢) .

وفى ١٦ يوليو عام ١٩٤٤ قال معلق راديو لندن توماس كاديت : « يطلق على الهجوم الروسى تسمية الانهيار الثلجى . واذا ما قارنا سرعته بسرعة هجوم قوات الحلفاء فى نورماندى ، فانه يمكن تسمية الأخير بانجراف الثلج لأنه لايزال يجرى بصورة بطيئة جدا » .

وفى ٢١ يوليو كتب روزفلت رئيس الولايات المتحدة الى ستالين يقول : « ان سرعة تقدم جيوشكم رائعة ، واتمنى كثيرا لو اتيحت لى فرصة زيارتكم من اجل أن ارى كيف يتسنى لكم الاتصال بقواتكم المهاجمة وتأمين تزويدها بالمؤونة والعتاد » .

وفى ٢٦ يوليو عام ١٩٤٤ كتب الملحق الحربى الانجليزى الجنرال مارتن فى صحيفة « ديلى تلجراف » يقول : « ... للمرة الثانية خلال الحملة الصيفية لهذا العام يجرى انهيار مجموعة من الجيوش الألمانية » .

وقال تشرشل فى خطاب القاه بمجلس العموم بتاريخ ٢ اغسطس : « لم توجد فى العالم قوة كهذه ... قادرة على تحطيم وسحق الجيش الألمانى وتكبيده مثل هذه الخسائر الفادحة »

---

(١) H. Feis, Churchill, Roosevelt, Stalin. The War They Waged and the Peace They Sought. Princeton, 1957, p. 311.

(٢) "Gumhuriyet" 9, VII, 1944.

كما فعلت الجيوش الروسية السوفيتية » (١) . وقد استقبل الحاضرون هذا القول بالتصفيق الحاد .

وظهرت في وقت لاحق تعقيبات كثيرة حول الهجوم الصيفي للجيش الأحمر .

وقد اجمعت الانباء والتقديرات والآراء الصادرة من مختلف الاتجاهات المتباينة تماما على شيء واحد : هو انه في صيف عام ١٩٤٤ وقبل انزال قوات الحلفاء في شمال فرنسا ، ثم الانتهاء من اتخاذ مواقعها بصورة تامة في رأس الجسر الذى استولت عليه ، كان مصير المانيا الهتلرية قد تقرر مسبقا في الجبهة الشرقية .

اما بشأن الجبهة الشرقية في أوروبا الغربية ، فانه بالرغم من ان عملية الانزال في نورماندى من اكبر العمليات في الحرب العالمية الثانية ، فان الحلفاء قدموا قوى جديدة متوالية في المعركة وبدأوا تدريجيا في طرد المحتلين الهتلريين من فرنسا وبلجيكا ، الا انها لم تلعب في صيف عام ١٩٤٤ ، ولم تكن لتستطيع أن تلعب دورا حاسما في هزيمة المانيا .

كان خطر الهزيمة النهائية يزحف على المانيا من الشرق .

ولقى الهجوم الصيفي للجيش السوفييتي في عام ١٩٤٤ تقديرا عاليا آنذاك وفي السنوات التالية له .

فكتب المؤرخ الاميركي وليام شيرر في كتابه « قيام وسقوط الامبراطورية الثالثة » ما يلي : « ... جاءت الحرب الى المانيا . وفي أواسط اغسطس عام ١٩٤٤ ، كان الجيش الاحمر الذى طور الهجوم الذى بداه في ١٠ يونيو وهو يهاجم باطراد ، قد بلغ حدود

(١) War Speeches 1944 (W. Churchill), p. 135.

شرق بروسيا ، وطوق خمسين فرقة المانية على ساحل البلطيق ، واحتل فيبورج ، ودمر مجموعة جيوش « الوسط » وتقدم خلال ٤٥ يوما مسافة اربعمائة ميل ، وبلغ نهر فيسلا قبالة وارسو . وفي الوقت نفسه كانت نتيجة الهجوم الذي بدأ في الجنوب يوم ٢٠ اغسطس ان سقطت رومانيا في نهاية الشهر ومعها حقول البترول في بلويشتي ، وهي المصدر الضخم الوحيد للبترول الطبيعي الذي يغذي الجيش الألماني . وفي ٢٦ اغسطس خرجت بلغاريا رسميا من الحرب ، وأخذ الألمان يغادرون البلاد مسرعين . وفي سبتمبر استسلمت فنلندا وسلمت القوات الألمانية التي رفضت مغادرة اراضيها » .

وفي ٢٧ سبتمبر كتب رئيس الوزراء الانجليزي رسالة الى ستالين جاء فيها : « انتهز الفرصة لكي اكرر غدا في مجلس العموم ما قلته من قبل أن الجيش الروسي بالذات هو الذي بقر بطن آلة الحرب الألمانية واخرج أحشاءها ، وهو الذي يشغل حاليا في جبهته الجانب الأكبر من قوات العدو » .

وقد نفذ تشرشل وعده في اليوم التالي . فعندما تحدث في مجلس العموم ، وتطرق الى الوضع على الجبهة السوفيتية الألمانية ، قال : « مضى ما يزيد على سبعة اسابيع منذ أن تعطل المجلس بمناسبة العطلة الصيفية . لكن خلال هذه الفترة القصيرة تغير وجه الحرب في أوروبا كليا ...

اننا اذ نحاول ان نقدر الانجازات البريطانية والاميركية حق قدرها ، ينبغي علينا أن لا ننسى أبدا الخدمة الجليلة التي قدمتها روسيا لقضيتنا المشتركة . فخلال سنوات طويلة من المحن القاسية أخذت تزهق انفاس الوحش الحربي الألماني ... واعتبر من الواجب على ان اشير الى أن روسيا تقيد وتضرب قوات أكبر من القوات التي تجابه الحلفاء في الغرب ، وانها تحملت خلال

سنوات طويلة العبء الرئيسي في البر وقدمت الخسائر الهائلة ثمنا لذلك » .

وفي ٧ اكتوبر بدات جبهة كاريليا بالاشتراك مع الاسطول البحرى الشمالى عملية « بيتسامو ـ كيركينيس » لتحطيم تجمع قوات العدو في المنطقة القطبية . وتحطم دفاع العدو نتيجة عدد من الضربات التى وجهتها قوات جبهة كاريليا وقوات الانزال البحرى التى انزلها الأسطول الشمالى ، وفي ١٥ اكتوبر عام ١٩٤٤ تم تحرير مدينة بيتسامو وقاعدتها البحرية . وواصلت قوات الجبهة هجومها وتدمير العدو حتى بلغت في ٢٢ اكتوبر حدود الاتحاد السوفييتي مع النرويج .

وفي الايام التالية لذلك هزمت قوات جبهة كاريليا قوى العدو في المعارك الضارية التى جرت بمنطقة كيركينس المحصنة ، وتم في ٢٥ اكتوبر تحرير مدينة كيركينس وقاعدتها البحرية الحربية من المحتلين . واضطرت قوات العدو للانسحاب الى الغرب تحت عنف ضربات القوات السوفيتية ، واصابتها بهزيمة منكرة .

وقد رحب الشعب النرويجى بطرد الجيش السوفييتي للهتلريين من شمال النرويج . وجاء في رسالة الحكومة النرويجية الى الحكومة السوفيتية في اكتوبر عام ١٩٤٤ : « ان شعب النرويج بأجمعه يرحب في سرور وحماس بتحرير الجزء الشمالى من النرويج ، وسوف يؤدى هذا الى توطيد الصداقة بين بلدينا في المستقبل » .

وقال هوكون السابع ملك النرويج في الخطاب الذى اذاعه بالراديو في ٢٦ اكتوبر عام ١٩٤٤ : « لدينا شواهد كثيرة على صداقة وتعاطف حكومة وشعب روسيا السوفيتية مع بلادنا . وقد تتبعنا باعجاب وحماس النضال البطولى المظفر للاتحاد

السوفييتى ضد العدو المشترك . وان واجب كلَ نرويجى أن يقدم أقصى التأييد لحليفنا السوفييتى » .

وجاء في برقية بعث بها وزير العدل النرويجى ديريه فولد ، الذى زار المنـاطق المحـررة فى شمال النرويج ، الى مارشال الاتحاد السوفييتى ميريتسـكوف ما يلى : « أود ، أيها السيد المارشال ، باعتبارى عضوا فى الحكومة النرويجية ، وباعتباركم قائدا لهذه الجبهة ، أن أقدم شكرى الخـالص بازاء المساهمة العظيمة التى قدمتموها فى قضية تحرير وطنى » .

وفى ٩ نوفمبر عام ١٩٤٤ تسلم ستالين برقية من نوجورد سفولد رئيس وزراء النرويج ، جاء فيها : « يسعدنى أن أبعث بتهانى الخالصة ... بمناسبة الذكرى السنوية لقيام الثورة . ان الحـكومة النرويجية مسرورة بالتعـاون النزيه القـائم بين بلدينا . وان الدور الذى يلعبه الاتحاد السوفييتى فى تحطيم النازية سوف لا ينساه النرويج أبدا » .

وقد غادرت القوات السوفيتية اراضى النرويج فى سبتمبر عام ١٩٤٥ بعد أن قامت بمهمتها فى تحرير شمال النرويج ، وتركت فى نفوس الناس أطيب الذكرى حولها .

وكتبت صحيفة « افتنبوستن » تقول : « كان الروس أول من جاء الينا ، كما كانوا أول من غادرنا . أن النرويجيين لن ينسوا أبدا ما فعله الروس من أجلهم ، وكذلك من أجل القضية المشتركة للنصر على العدو » .

ولا يزال سكان مدينة كيركينس يذكرون حتى الآن محرريهم بامتنان . واقاموا على نفقتهم فى مركز المدينة تمثالا منحوتا من الحجر يمثل مقاتلا سوفيتيا يحمل بندقية رشاشة ، قام بصنعه المثال النرويجى فريدريكسون . وقد كتب على لوحته : « الى

الجنود السوفييت البواسل تخليدا لذكرى تحرير مدينة كيركينيس فى عام ١٩٤٤ » .

واقيمت النصب التذكارية فى المدن الأخرى بشمال النرويج مثل ايلفينيس وبودا وفاوسكه وغيرها .

وفى عام ١٩٥٤ احتفلت البلاد بالذكرى العاشرة لتحرير شمال النرويج . وقام وزير العدل النرويجى شوستيد باسم حكومته بوضع أكاليل الزهور فى مدينة كيركينيس ، والقى خطابا اشار فيه الى أن الشعب النرويجى لن ينسى الأعمال القتالية للسوفييت وضبطهم وجرأتهم . وقال : « اننا نكرم باحترام عميق ذكرى الجنود السوفييت الذين ضحوا بحياتهم فى النضال من أجل القضية المشتركة » .

وفى أوسلو خطب بول محافظ المدينة فقال : « اننا نشكر حليفنا الذى ساعدنا على استرداد حريتنا من جديد » .

وتضمن نفس هذه الروح خطاب جيرهارديسون رئيس وزراء النرويج الذى وجهه الى مستقبليه من أبناء موسكو فى ١٠ نوفمبر عام ١٩٥٥ . وركز فى هذا الخطاب على قوله : « اننى اذ أزور الاتحاد السوفييتى اليوم بعد مرور ١٠ سنوات على انتهاء الحرب ، وبصفتى رئيسا لوزراء النرويج ، أود أن تكون أولى كلماتى على الأرض السوفيتية تكريما لذكرى النساء والرجال السوفييت الذين ضحوا بحياتهم من اجل القضية المشتركة . ان الشعب النرويجى لن ينسى مساهمة ورصيد الشعب السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ، وبالأخص مشاركته فى تحرير النرويج .

واود ان اعرب باسم الحكومة النرويجية وباسم جميع النرويجيين عن الشكر العميق الذى تكنه النرويج لشعوب الاتحاد السوفييتى » .

وتعبيرا عن الاحترام والاعتراف بالجميل وضعت في ٦٢ بلدة في النرويج اكاليل الزهور على قبور ونصب المقاتلين السوفييت الذين استشهدوا في المعارك ضد المحتلين الفاشست .

وبعد تحرير الجيش الأحمر لشمال النرويج استمر ظهور عبارات الغبطة والاعجاب بنجاحات القوات المسلحة السوفييتية ، في صحف البلدان الصديقة والمحايدة والمراسلات الرسمية .

وفي بداية نوفمبر عام ١٩٤٤ كتبت الصحف الأجنبية :

« نيويورك هيرالد تريبيون » في ٤ نوفمبر عام ١٩٤٤ :

« اصبح الجيش الأحمر من العوامل الهامة في زماننا ، وان قدرته المستمرة على القيام بهجوم خطير تعتبر من أعجب ظواهر الحرب . وهناك مسألتان عملتا على انتصار الجيش الأحمر هما : روح الجيش الشعبي التي ابت أن تعرف معنى الهزيمة ولم تتوان في تقديم اى تضحية من أجل تحقيق النصر على العدو ، ثم قدرته على التعلم . أن قيادة الجيش الأحمر تتم الآن دون ريب بمقدرة فنية عالية وجراة واصالة » .

وكتبت « ستار » الامريكية في ٦ نوفمبر عام ١٩٤٤ :

« ان المرحلة الراهنة للحملة في روسيا ، ستدرس خلال سنوات طويلة كنموذج للاستراتيجية الجريئة والتنفيذ الرائع للعمليات في الجبهة ووراء خطوط العدو » .

الانتصارات الختامية للجيش الأحمر
الهزيمة العسكرية لالمانيا الهتلرية

رغم اصابة الجيش الالمانى الفاشى بهزائم منكرة فى الجبهة الشرقية ، فانه كان ما يزال قويا حيث يبلغ تعداده ثلاثة ملايين و ١٠٠ ألف جندى ، ولديه ٢٨٥٠٠ مدفع وهاون و ٣٩٥٠ دبابة ومدفع هجوم (ذاتى الحركة) و ١٩٦٠ طائرة . بالاضافة الى ذلك فقد كانت تشكيلاته الاحتياطية وقوات المؤخرة التى استخدمت ضد الجيش الأحمر فيما بعد بصورة رئيسية تضم مليونين و ٤٣٣ ألف جندى و ٢٧٠٠ مدفع و ٥٣٩٠ دبابة هجوم و ٣٢٧٠ طائرة حربية . وأخذت قواتنا ، التى كان يجابهها مثل هذا العدد القوى تعد فى نهاية عام ١٩٤٤ وبداية عام ١٩٤٥ للقيام بعمليات هجومية جديدة على كافة الجبهات .

وتحدد لبداية الهجوم ، وبصفة خاصة فى الجزء الاوسط من الجبهة ، يوم ٢٠ يناير ، بصورة تقريبية . لكن السير العام للحرب ضد المانيا كان يمضى بشكل أدى الى بدء الهجوم قبل موعده .

فقد حدث ان قامت القوات الهتلرية فى نهاية ديسمبر عام ١٩٤٤ بهجوم فى الجبهة الغربية بمنطقة اردن ، واخترقت الجبهة ووضعت القوات الانجلو ـ امريكية فى مأزق عسير . وكما يؤكد الحلفاء أنفسهم فان الالمان كانــوا يريدون توجيــه ضربة الى لييج وتحطيم الجيش الامريكى الأول ، وبلوغ انتفربين ، وعزل الجيش الامريكى التاسع والجيش البريطانى الثانى والجيش الكندى الأول وتكرار حادث دنكرك بالنسبة للحلفاء مرة ثانية ، وذلك لارغام انجلترا على الخروج من الحرب . وكان الوضع خطيرا الى درجة كبيرة

بحيث أن تشرشل بعث فى ٦ بناير عام ١٩٤٥ برسالة الى ستالين جاء فيها ما يلى : « تدور فى الغرب معارك صعبة جدا ، وقد يتطلب الأمر من القيادة العليا ان تتخذ فى اية لحظة قرارات كبرى .. انكم تعرفون بخبرتكم الشخصية مدى خطورة الوضع ، عندما ينبغى الدفاع عن جبهة واسعة جدا بعد فقدان زمام المبادرة مؤقتا . ومن المفيد والضرورى جدا للجنرال ايزنهاور أن يعرف بشكل عام ما هى الخطوات التى عزمتم على اتخاذها ، لأن ذلك سيعكس ، بالطبع ، على جميع قراراته وقراراتنا الهامة ... وسأكون شاكرا لو تمكننم من ابلاغى هل نستطيع أن نأمل فى قيام هجوم روسى ضخم فى جبهة فيسلا أو فى أى مكان آخر خلال يناير أو أى وقت آخر ، بما تودون الاشارة اليه . ولن انقل الى أى فرد مطلقا هذه المعلومات السرية جدا ، فيما عدا الفيلد مارشال بروك والجنرال ايزنهاور ، ولكن بشرط الحفاظ عليها بسرية تامة . اننى أعتبر هذه المسألة عاجلة » .

كانت القيادة السوفييتية تدرك جيدا مدى الخطر الذى كان يحيق بجيوش الحلفاء فى اردن ، لذا فقد اتخذت قرارا فوريا بمساعدة قوات الحلفاء . وارسلت فى ٧ يناير البرقية التالية الى تشرشل : « نحن نستعد للهجوم ، الا ان الطقس غير ملائم الآن . ولكن نظرا لوضع حلفائنا فى الجبهة الغربية فقد قررت هيئة القيادة العليا التعجيل بانهاء الاستعدادات ، وستقوم بعمليات هجومية واسعة ضد الالمان ــ رغم سوء حالة الطقس ، على كل الجبهة الوسطى قبيل النصف الثانى من يناير . ويمكن ان تثقوا باننا سنعمل كل ما فى وسعنا من أجل مساعدة القوات المجيدة لحلفائنا » .

وبعد أن تسلم تشرشل الرد ، ودون أن يخفى بهجته ، كتب فى ٩ يناير الى ستالين يقول : « اننى ممتن جدا لبرقيتكم المؤثرة . وقد بعثت بها الى الجنرال ايزنهاور للاطلاع الشخصى فحسب » .

سنرمى نحن والامريكان الى المعركة بكل ما تستطيع . ان النبأ الذى زففتموه الى قد جلب السرور على الجنرال ايزنهاور ، اذ منحه الثقة بان الالمان سيضطرون الى تقسيم احتياطياتهم بين جبهتينا الطاحنتين . وسوف لا تكون هناك فترة توقف فى المعركة الدائرة فى الغرب ، كما تشهد على ذلك بيانات الجنرالات الذين يقودونها » .

ومن ثم فقد قررت القيادة العليا للقوات السوفييتية تقديم موعد الهجوم ضد الالمان فى الجبهة السوفييتية الالمانية من يوم ٢٠ يناير الى يوم ١٢ منه . وفى الموعد المحدد بدأ الهجوم الكبير للقوات السوفييتية على جبهة واسعة تمتد من بحر البلطيق الى الكربات .

ووجهت الضربة الأولى للعدو قوات الجبهة الاوكرانية الاولى من رأس جسر يقوم الى الغرب من ساندومير . وفى ١٤ يناير بدأت الهجوم قوات الجبهة البيلوروسية الثانية من رؤوس جسر تقوم على الضفة الغربية لنهر فيسلا جنوبى وارسو . وفى ١٥ يناير بدأت قوات الجبهة البيلوروسية الثالثة الهجوم جنوب بروسيا وقوات الجبهة الاوكرانية الرابعة فى الكربات . وهكذا انتقل الجيش الأحمر الى الهجوم الحاسم فى كل الجبهة من بحر البلطيق الى الكربات وعلى امتداد ١٢٠٠ كيلو متر . وبلغ عدد الفرق المهاجمة ١٥٠ فرقة مع عدد كبير من المدافع والطائرات .

وترددت على صفحات الصحف العالمية أسماء المدن والمناطق السكنية التى حررها الجيش الأحمر .

وبعد ان شعرت القيادة الهتلرية بضخامة حجم هجوم الجيش الأحمر اضطرت الى العدول عن خططها فى الجبهة الغربية .

وفى ١٢ يناير توقفت القوات الالمانية المحتشدة فى اردن ، ومنها الجيشان الخامس والسادس للدبابات ، والمعدة لتوجيه

ضربة جديدة ، فاوقفت هجومها ، ونقلت بعد مضى ٥ ـ ٦ أيام من الجبهة وارسلت الى الشرق لمجابهة القوات السوفييتية المهاجمة . وهكذا احبط هجوم القوات الالمانية فى الغرب .

وبهذه المناسبة بعث تشرشل برسالة الى ستالين فى ١٧ يناير ، جاء فيها : « باسم حكومة صاحب الجلالة أود أن أعرب لكم من الأعماق عن امتناننا وان نقدم لكم التهانى بالهجوم الجبار الذى بدأتموه فى الجبهة الشرقية » .

وفى ١٦ يناير عام ١٩٤٥ صرح أحد ضباط اركان مجموعة قوات الحلفاء الحادية والعشرين العاملة فى شمال فرنسا فى مؤتمر صحفى بقوله : « بدأت الرياح العاصفة من روسيا تبث الصفاء فى الجو الثقيل فى الغرب وتفتح امكانيات جديدة للقيام بعمليات هجومية فى جبهتنا » . واعترف قائد وحدات الاستطلاع للمجموعة الحادية والعشرين الجنرال ويليامز فى ٢٣ يناير بان « قبضة الدبابات الالمانية التى كانت محكمة على القوات الامريكية قد سحبها الروس » . وقد اضطر مجبرا للادلاء باعترافات مماثلة كل من الجنرال فورد (٣١ يناير) والجنرال جيونجان رئيس أركان المجموعة الحادية والعشرين (٤ مارس) وغيرهما ، وذلك فى مؤتمرات صحفية .

وفى ١٨ يناير تلقى ستالين رسالة من الرئيس روزفلت جاء فيها بصفة خاصة : « ... أن المآثر التى قام بها مقاتلوكم الابطال من قبل . والفعالية التى اظهروها فى الهجوم الحالى تجعلنا نأمل فى النجاح العاجل لقواتنا فى كلتا الجبهتين » .

وكتب « مانشستر جارديان » فى ١٨ يناير عام ١٩٤٥ تقول : « لقد غير الهجوم العظيم للروس الذى بدأ يوم ١٢ يناير كل الوضع الحربى . ان حجم المعارك ، التى اندلعت نيرانها ، كبير بغير حدود ، كما ان عدد الفرق وامتداد الجبهة هائلان . ومما لا شك فيه أن

هذا الهجوم أضخم عملية فى تاريخ الفن العسكرى .. ومن العبث ان يعلل الجالسون فى برلين انفسهم بالاوهام . وتعلن الصحافة والمعلقون الحربيون فى صوت واحد أنه قد حانت ساعة المحنة الأخيرة » .

واشارت صحيفة « سبيكتاتور » الأسبوعية الانجليزية فى ١٩ يناير عام ١٩٤٥ الى « أن سرعة الهجوم السوفييتى عظيمة جدا ومن الصعب حتى أن نصور لأنفسنا ان خطط القيادة العليا السوفييتية لم تكشف بعد بكاملها .. والقول بأن هذا الهجوم قد غير فقط الموقف الحربى معناه التقليل من شأنه ، اذ بدأت تتفتح أمامنا امكانيات لم نكن حتى نحلم بها » .

وكتبت صحيفة « فرى بريس » الكندية عندما تناولت موضوع نقل الفرق الالمانية من الغرب الى الشرق بان ذلك قد اعطى ايزنهاور فرصة تطوير الهجوم الانجلو ـ امريكى المركز فى الجبهة الغربية .

وفى ١١ فبراير كتبت صحيفة « بريتانسكى سويوزنيك » (الحليف البريطانى) فى تعليق لها تقول : « ان صدى قصف المدفعية السوفييتية يتردد فى شوارع برلين .. » ، واوردت المقطع التالى من جريدة « التايمس » الانجليزية : « فى هذه الساعة الحرجة التى يرمى فيها العدو الى الجبهة بآخر احتياطياته ، وبضمنها وحدات « فولكس شتورم » نصف المدربة ، محاولا تكوين آخر حاجز بين برلين وقوات الجيش الأحمر ، اخذ الحلفاء ، الذين استغلوا اللحظة الملائمة ، يدخلون قواتهم الى حيز العمل » .

وقد وصفت الصحافة الأمريكية هجوم الجيش الأحمر باسهاب . فقد كتبت جريدة « كورير جورنال » (لويزفيل ، ولاية كينتوكى) بتاريخ ١٧ فبراير عام ١٩٤٥ تقول : حتى أكثر المراقبين تفاؤلا لم يتوقع مثل هذه الضربات القاصمة وروح الاندفاع العارم التى اتسم بها هجوم الجيش الأحمر . لقد وقف فى طريق الجيش

الأحمر ، نهر الاودر والقلاع المنيعة لمدن لودز وكراكوف وبوزنان .
وخلال فترة تزيد على الشهر بقليل اجتاز الجيش الاحمر جميع تلك المواقع واقترب من مشارف برلين ، وهو يطبق بفكي كماشة هائلين على ما كان يوما ما جيش هتلر الـذى لا يقهـر . وقالت الجريدة : « ان الشهر الأول للهجوم الشتوى الروسى يعتبر مرحلة هامة فى التاريخ العسكرى ، وشهر أعظم معارك التاريخ المتتالية والتى قربت ساعة هزيمة المانيا الهتلرية » .

وكتب المؤرخ الانجليزى ايرمان يقول : « كانت وزارة الحربية الانجليزية تناقش يوم ١٢ يناير عام ١٩٤٥ امكانية انتهاء الحرب فى فترة لا تقل عن ٣١ ديسمبر عام ١٩٤٥ ، وبعد عشرة أيام من هذا التاريخ اى فى ٢٢ يناير جاء فى بروتوكول لجنة رؤسـاء الأركان الانجليزية ما يلى :

« ان الهجوم الجديد للروس قد غير الوضـع بشكل حاد .
وأغلب الاحتمال أنه يمكن توقع نهاية الحرب فى أواسط ابريل » .

حقا ، ان الحرب لم تنته فى اواسط ابريل ، لكن بداية مايو مبكرة جدا عن ٣١ ديسمبر !

لقد صعقت الطغمة الهتلرية من هجـوم الجيش الأحمر فى يناير . وكان مكتب الاستعلامات الالمانى يردد بكآبة : « لم يكن ثمة مثل هذا الهجوم فى كل تاريخ الحروب » و « خلال كل سنوات الحرب الحديثة لم نشهد مثل هذا العدد الهائل من البشر والمعدات والسلاح ، الذى رمى به السـوفييت ما بين الكربات وميميل » و « انه ليس لهذا الهجوم مثيل لا من حيث السعة ، ولا من حيث تناسق العمليات ، والاستخدام الشامل لكافة القوى المتوفرة لدى العـدو » .

وكتب فيستفال الجنرال الهتلرى السابق بعد مضى سنوات كثيرة على انتهاء الحرب لدى تناوله أحداث تلك الايام ، يقول :

« فى ١٢ ننابر عام ١٩٤٥ بدأ هجوم سوفييتى جبار . وبالنظر لتطوره السريع فقد كان واضحا تماما بأن الجبهة الشرقية سرعان ما ستحتاج الى المعونة .

ولقد اعترفت القيادة العامة فى الغرب بأولوية الجبهة الشرقية من حيث الاهمية ، لذلك فقد اعطت فى اليوم الثالث الاوامر اللازمة لتحريك جيش الدبابات السادس (أس . أس) الى منطقة شحنه بالقطارات » (١) .

وتحدث جنرال هتلرى أخر هو الجنرال فون مانتيفيل عن الجو الذى نحوطه السرية التامة لدى الاستعداد للهجوم الالمانى فى اردن . وعن مراحله الاولى ، فقال : « فى ١٣ يناير عام ١٩٤٥ بدأ الهجوم الروسى الكبير ، واضطرت القيادة العليا الى نقل القوات من الجبهة الغربية الى الشرقية ، وقد شمل المجموعات المقاتلة فى أردن أيضا ، فأحرج جيش الدبابات السادس (أس . أس) بكامل أفراده ومعداته من المعركة وأرسل الى الشرق » (٢) . وقال أيضا : « ... فى ١٢ — ١٣ يناير قام الروس بهجومهم الكبير من رأس جسر بارانوف (٣) . وقد ظهر تأثيره فورا على الجبهة الغربية . وكنا منذ زمن طويل ننتظر بقلق نقل قواتنا الى الشرق ، وقد جرى ذلك الآن بسرعة فائقة . فأرسل الى هناك جيش الدبابات السادس (أس . أس) مع وحدات متفرقة من الوحدات الفرعية الخاصة ، وهيئتى أركان فيلقين وأربع فرق دبابات (اس . أس) ، ولواء « فوهرر بيجلايت » ولواء قاذفى القنابل (الجريناديير) ، وكذلك جميع مدفعيتها

---

(١) S. Westphal. Heer in Fesseln, Bonn. 1950. S. 284.

(٢) فيستفال وكريبه وآخرون . « قرارات مهلكة » . موسكو — ١٩٥٨ ؛ ص ٢٨٢ .

(٣) يسمى هذا الهجوم فى المؤلفات العسكرية السوفييتية عادة باسم الهجوم من راس جسر ساندومير . أما بارانوف فهى بلدة على ضفة فيسلا الشرقية .

ووسائل العبور الخاصة بها . وليس من الصعب أن نتصور مدى التأثير الذى احدثه سحب هذه الكمية من القوى البشرية والمعدات من الجبهة فى الوقت الذى نعانى فيه من نقص دائم وحاد فى الوقود » (١) .

وقال ايضا : « أن التقدم السريع للجيش الاحمر قد قضى على فترة الراحة التى حققها هجوم اردن ، وجعل انتهاء الحرب أمرا محتوما » (٢) .

وكتب جودريان : « كانت الكارثة فى الجبهات تتقدم بسرعة الانهيار الثلجى ... وبلغ هجوم الروس معدلات لم يعرف لها مثيل ... وبدأ نقل جيش الدبابات السادس الى الجبهة الشرقية ... وقدم شبير تقريرا جديدا بدأ بعبارة قاسية هى « خسرنا الحرب » . وقبل أن يقدمه لهتلر أعطاه لى لاقراه . واضطررت ، للأسف ، للموافقة على محتواه ... » (٣) .

وبعد كل هذا يوجد كتاب مذكرات ، مثل الجنرال برادلى ، يحاولون أن يعزوا انتصار الجيش الاحمر اثناء هجوم يناير الى « نجاحات » الحلفاء فى اردن ... أن هذا يعنى بحق قلب الامور راسا على عقب .

وقد صادفت الانتصارات الحاسمة للجيش الاحمر فى بداية عام ١٩٤٥ مع الذكرى السابعة والعشرين لتأسيسه . وكما هى الحال دائما فقد تحول هذا اليوم الحافل الى يوم للاعتراف بنجاحاته القتالية الجديدة فى ميدان الحرب .

ففى ٢٨ فبراير بعث الفيلدمارشال سميث ببرقية الى ستالين قال فيها : « لن احاول ذكر انجازات الجيش الاحمر

---

(١) انظر فيستفال وكريبه وآخرون . « قرارات مبلكة » ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٠٢ .

(٣) H. Guderian. Op, cit. S, 352.

فقد كتبت بحروف من نور لا تمحى على صفحات التاريخ . وكل ما استطيعه هو أن أقدم للمارشال والجيش الاحمر شعور الاعجاب والامتنان العميق ، لما فعلاه . أن دورهما عظيم في تحرير العالم من الخطر النازى ، وتعاونهما الوثيق مع الامم المتحدة الاخرى فى المستقبل سوف يتمكنان من تقديم خدمة أكبر لقضية السلام والتقدم السلمى فى العالم أجمع » .

وفى اليوم نفسه بعث ستيمسون وزير حربية الولايات المتحدة الأمركية برقية بالمضمون التالى : « باسم وزارة حربية الولايات المتحدة أبعث لكم فى عيد الجيش الاحمر بأفضل التمنيات والتهانى للنضال الرائع المظفر الذى يخوضه جيشكم فى قلب المانيا . أن كل خطوة فى هذا الطريق هى علامة على مهارة قادتكم ، وبسالة جنودكم والضحايا التى قدمها شعبكم الباسل . أن النصر لم يستحق أبدا مثل هذا التقدير الشامل » .

وكتب بونومى رئيس وزراء ايطاليا يقول : « ان الحكومة الايطالية تحيى بحرارة الجيش الأحمر الذى يحتفل بالذكرى السنوية لميلاده فى خضم الانتصارات الهائلة ، التى ستحطم على الدوام المؤامرات الرهيبة للنازية والفاشية وتحرر العالم من الخطر الذى تمثلانه » .

لكن تشرشل ، فقط ، لم يبتهج ، بل غمره القلق . فكتب فى رسالته الى روزفلت بتاريخ أول أبريل عام ١٩٤٥ يقول : « مما لا شك فيه أن الجيوش الروسية ستستولى على جميع النمسا وتدخل فيينا . فاذا ما استولت على برلين أيضا ؟ أفلا يولد ذلك لديها تصورا مبالغا فيه عن كونها لعبت الدور الحاسم فى النصر العام ، الا يمكن أن يخلق ذلك جوا تنجم عنه فى المستقبل مصاعب خطيرة وكبيرة جدا ؟ لذا أرى من وجهة النظر السياسية أن نتقدم فى المانيا باتجاه الشرق قدر الامكان ؟

واذا أصبحت برلين فى حدود المنال ، فاننا بلا شك مستولى عليها ... » (١) . لكن هذا المخطط لم يقدر له أن يتحقق .

ففى ربيع عام ١٩٤٥ جرت أحداث حاسمة من حيث أهميتها بالنسبة للحرب ضد ألمانيا الهتلرية . اذ أكد هتلر فى ٩ مارس بمناسبة تعيين كيسيلرينج قائدا عاما للجبهة الغربية على « أنه ينبغى البحث عن الحل فى الشرق . أن الكارثة فى الشرق تعنى حتما نهاية الحرب » . وكانت هذه الكارثة النهائية تقترب بشكل لا يرحم .

وفى الوقت الذى كانت فيه القوات الانجلو ـ أمبركية لا تلقى مقاومة تذكر وهى تتقدم وراء القوات الالمانية المنسحبة والتى بدأت تستسلم ، وبلغت مشارف نورنبرج وهامبورج وبريمين ، كانت القوات السوفييتية فى بداية مارس قد شطرت مجموعة قوات بومبران الألمانية وبلغت سواحل بحر البلطيق . وفى نهاية مارس صدت هجمات ١١ فرقة دبابات معادية فى المنطقة الواقعة جنوب غرب بودابست ، وانتقلت الى الهجوم وتقدمت الى الامام مسافة ٧٠ كيلومترا فى جبهة طولها أكثر من ١٠٠ كيلو متر . وفى ٤ أبريل استولت فى هجومها على براتسلافا . وفى ٩ أبريل استولت بعد معركة ضارية على كينجزبرج ، وفى ١٣ أبريل تم تحرير فيينا عاصمة النمسا .

وفى الوقت نفسه تقدمت القوات السوفييتية من رؤوس الجسور الواقعة على الاودر وبلغت مشارف برلين . وفى ١٦ ابريل بدأت عملية الاستيلاء على هذه « البندقة الصلبة » للرايخ الهتلرى ، التى كانت تدافع عنها مجموعة جيوش « فيسلا » و « الوسط » .

---

(١) W. Churchill, Op. cit. Vol. VI, p. 407.

وكان مجموع تعداد قوات العدو فيها يبلغ مليون شخص و ١٠٤٠٠ مدفع وهاون و ١٥٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة و ٣٣٠٠ طائرة .

وبعد معارك عنيدة دامت عدة أيام تحطمت المواقع الدفاعية في برلين ، وقضي على قوات العدو وحامياته ، وتم أسر حوالى ٤٨٠ الف جندى وضابط . وفى الوقت نفسه تم الاستيلاء على أكثر من ١٥٠٠ دبابة ومدفع ذاتى الحركة و ٤٥٠٠ طائرة و ١٠١٩١٧ مدفعا وهاونا .

وفى ٢٥ أبريل التقت قوات الجبهة البيلوروسية الأولى والجبهة الأوكرانية الاولى بقوات الجيش الاميركى الاول على نهر الالب فى منطقة مدينة تورجاو .

وفى أول مايو ارتفعت فوق بناية الرايخستاج راية النصر ، وفى ٨ مايو تم فى ضاحية كارلهورست ببرلين التوقيع على وثيقة استسلام المانيا الهتلرية دون قيد أو شرط . وفى ١١ مايو اختتمت العملية الهجومية ببراغ ، التى كانت تستهدف سحق مجموعة قوات العدو فى منطقة العاصمة التشيكوسلوفاكية والتى واصلت القيام بالعمليات القتالية ضد الشعب التشيكوسلوفاكى الذى قام بانتفاضة مسلحة يوم ٥ مايو .

انتهت الحرب الدامية زارعة الخراب التى شنتها المانيا الهتلرية نهائيا . وتم القضاء على الفاشية .

لقد كتب لينين وصفا لطريق الامبريالية الالمانية فى حرب ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، فقال : « فى البداية انتفخت أوداجها بشكل عجيب الى ثلاثة ارباع أوروبا ، وازدادت شحما ، ثم انفجرت فجأة ، مخلفة وراءها أفظع الروائح العفنة » (١) .

---

(١) لينين ، المؤلفات الكاملة ، ج ٣٧ ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠ .

ان هذا التحديد الواضح الغنى المضمون ينطبق أكثر على « النظام الجديد » الهتلرى ، الذى ولدته الفاشية .

لقد بعث هجوم الربيع للجيش الاحمر فى عام ١٩٤٥ صدى كبيرا جديدا فى العالم أجمع . وفى بداية مارس وصفت صحيفة « بريتانسكى سايوزنيك » (الحليف البريطانى) ، كمثال لأهم الأحداث ، تجدد التقدم السريع لقوات المارشال زوكوف والمارشال روكوسوفسكى نحو سواحل البلطيق فى بوميرانيا (١) .

وفى ٢٥ مارس عام ١٩٤٥ كتبت هذه الصحيفة تقول أن القوات السوفييتية قد حطمت فى الجبهة الشرقية جزءا كبيرا من الأساس الوطيد للروح العسكرية البروسية .

وكتب ايليوت معلق صحيفة « نيويورك هيرالد تريبيون » يقول : « أن هجوم الجيش الأحمر من بحيرة بالاتون على فيينا يعتبر من أعظم الانجازات العسكرية فى الحرب كلها . وباحتلال فيينا سيدخل الجيش الأحمر الى القلعة الألمانية الداخلية » .

وبعد مرور اسبوع تقريبا أوردت « نيويورك تايمس » ما يلى : « ان الحريق الذى أشعلته برلين ونشرته المانيا فى أوروبا ، قد عاد الى المكان الذى بدأ منه ، وأن البقايا البائسة للجيش الألمانى المتجبر الذى زحف من برلين حاملا معه الموت والعنف والنهب لكثير من البلدان ، تجد نفسها اليوم مضطرة للدفاع عن عاصمتها المتهالكة » (٢) .

وعندما سقطت برلين عم الفرح جميع بلدان التحالف المعادى للهتلرية وكذلك البلدان التى لزمت جانب الحياد فى الحرب .

---

(١) « الحليف البريطانى » ، عدد ١٠ (١٣٥) ، ١٩٤٥/٣/١١ .

(٢) "New York Times", 23. IV. 1945.

وقد استقبلَ هذا الحــدثَ بمظاهرات واجتماعات صاخبة فى بلدان امريكا اللاتينية أيضا — فى الأرجنتين والبرازيل وشيلى وبيرو والمكسيك وفنزويلا ، وفى البلدان الأفريقية .

وكتب مارين مانافو الجنرال كونونيل فى الجيش الرومانى وهو يســتعيد ذكرياته بعــد مرور ٢٠ عاما على الاســتيلاء على برلين ، يقول : « وجهت القوات السوفييتية بانتصارها فى عملية برلين ضربة رائعة للالة الحربية الهتلرية . وبعد أن خسرت المانيا المركز الحربى والاقتصــادى والســياسى الرئيسى حرمت من امكانية مواصلة المقاومة ... ان تاريخ هذه المعركة يعطى دروسا كثيرة لجميع من يمارس الفن العسكرى ... »

ويعتبر مارين أن الاستيلاء على عاصمة المانيا النازية واحدة من أعقد العمليات التى قامت بها القوات السوفييتية أثناء الحرب العالمية الثانية ...

الأهمية التاريخية العالمية لالحاق الجيش الأحمر الهزيمة بألمانيا الفاشية

أثار نبأ الهزيمة التامة لألمانيا الهتلرية موجة من الابتهاج والفرح فى الجزر البريطانية . وأعلن ونستون تشرشل النبأ فى خطابه بالراديو يوم ٨ مايو بقوله : « أغلب الظن أننا فى هذا اليوم سنفكر بالدرجة الاولى فىأنفسنا . وغدا سنكيل آيات الثناء والمديح بصفة خاصة لرفاقنا الروس ، الذين تعتبر بسالتهم فى ساحة المعركة احدى المساهمات العظيمة فى النصر المشترك » (١) .

وفى ١١ مايو وجه جورج السادس ملك بريطانيا برقية تهنئة باسم الشعب الانجليزى الى كالينين بمناسبة الانتصار على ألمانيا . وقد ورد فى هذه البرقية ما يلى : « فى هذا اليوم تتجه أفكارنا بشكل خاص الى أولئك الذين جعلت خسائرهم الفادحة وتضحياتهم انتصار القضية العادلة أمرا ممكنا . لتجعلنا ذكراهم لا نبخل بأية جهود من اجل بناء العالم الأفضل الذى ناضلوا واستشهدوا من أجله .. انني أبعث اليكم أيها السيد الرئيس بأحر تحياتى الشخصية وتهانى ، وأحيى بواسطتكم الجيش الأحمر الباسل ، والاسطول الحربى البحرى والشعب السوفييتى القوى الذى كان لصموده العنيد ومآثرته البطولية الرائعة اليد الطولى فى انتصار الأمم المتحدة » .

---

(١) « الحليف البريطانى » ، رقم ١٩ (١٤٤) - ١٩٤٥/٥/١٣ .

وبعد مضى فترة طويلة كتب الفيلدمارشال البريطانى مونتجمرى عند تطرقه الى مساهمة الاتحاد السوفييتى فى الحرب يقول : « لقد حققت روسيا مأثرة عسكرية عظمى ... فبينما كانت انجلترا وأمبركا تجمعان قواهما ، كانت الجيوش الألمانية تحرق وتنهب وتقتل الناس فوق الأراضى الروسية مخلفة وراءها الخرائب الرهيبة والضحايا البشرية التى لا تعد ولا تحصى . وفى هذه الفترة كانت انجلترا وأميركا تستطيعان تقديم يد العون للجيوش السوفييتية بواسطة التسحنات البحرية من الذخائر فحسب . وقد تلقت روسيا فى القتال الفردى الثقيل العبء ، وهى تواجه وحدها تقريبا الجيوش الهتلرية المهاجمة ، كل عنف الضربة الألمانية وصمدت لها . اننا ، نحن الانجليز ، لن ننس أبدا مأثرة روسيا » (١) .

ولم ينس الانجليز البسطاء مآثر وتضحيات الشعب السوفييتى . فنشرت صحيفة « ديلى تلجراف اند مورننج بوست » رسالة لاحد القراء جاء فيها : لعبت روسيا الدور الحاسم فى حروب نابليون وفى الحرب العالمية الثانية . ومن المشكوك فيه أن الامبراطورية كانت ستبقى دون الهزيمة التى لحقت بنابليون عند موسكو عام ١٨١٢ . ومن يعرف ماذا كان سيحدث لو لم يهزم هتلر عند ستالينجراد ! » .

ومن الشواهد الساطعة التى تذكر بالماضى كتاب الكسندر ويرث « روسيا فى حرب ١٩٤١ — ١٩٤٥ » الذى يتحدث عن معارك الجبهة الشرقية وعن كل عبء الهزيمة التى لحقت بألمانيا الهتلرية هناك . يقول ويرث : « ان الأسباب التاريخية والجغرافية أدت الى أن يتلقى الروس فى الواقع الضربات

---

(١) The Memoirs of Field-marshal the Viscount Montgomery of Alamein.
London, 1958, p. 454.

الرئيسية فى الحرب ضد المانيا وبفضل ذلك تم انقاذ ملايين البريطانيين والاميركان » (١) .

وينهى المؤلف كتابه بالكلمات التالية : « ستبقى الحرب الوطنية البطولية القاسية لفترة ١٩٤١ — ١٩٤٥ باعتبارها من اكثر الذكريات فظاعة واكثرها فخارا بالنسبة للشعب الروسى — انها الحرب التى حولت روسيا رغم كل الخسائر الى دولة عظمى من العالم القديم . وهى الآن تبدو كملحمة تاريخية من القرن الماضى ... ملحمة لا يمكن أن تتكرر ابدا » (٢) .

وليس هناك شك فى ان أوساطا واسعة من الشعب الانجليزى تشارك المؤلف هذا التقدير الرفيع لمأثرة الشعب السوفييتى .

ففى الذكرى العشرين للنصر كتب الكاتب الانجليزى المشهور جيمس أولدريج مقالا نشرته صحيفة « النجم الأحمر » قال فيها : « أنا على يقين تام (كايمانى بأن الشمس ستشرق يوم غد حتما) بأنه لولا الاستشهاد البطولى لملايين الجنود الروس لأصبحت انجلترا تحت حذاء النازية » .

واستقبل الشعب الاميركى أيضا النصر على المانيا الهتلرية بارتياح عميق ، سوية مع باقى شعوب التحالف المعادى لهتلر . وقيلت الكثير من الكلمات الودية حول القوات المسلحة للولايات المتحدة وحليفاتها . ولقى دور الاتحاد السوفييتى وجيشه الأحمر ما يستحقه من تقدير .

وقد بعث الرئيس الاميركى السابق ترومان برسالة الى ستالين جاء فيها : « اننا نقدر تقديرا عميقا المساهمة الرائعة التى قدمها الاتحاد السوفييتى الجبار لقضية المدنية

(١) A. Werth, Russia at War 1941-1945, U.S.A., 1966, p. XVII-XVIII.

(٢) Ibid. p. 941.

والحرية . لقد أظهرتم مقدرة الشعب المحب للحرية والشجاع الى أقصى درجة على سحق قوى الشر البربرية مهما بلغت من القوة » .

وقد اشار الرأى العام الاميركى والخبراء العسكريون وصحافة أميركا أكثر من مرة الى الدور الهائل الذى لعبه الاتحاد السوفييتى فى قضية الانتصار على الفاشية .

وفى الاحتفال بالذكرى السنوية العشرين للصداقة الاميركية السوفييتية بنيويورك قالت آن ايتون زوجة سايروس ايتون الشخصية الاجتماعية الاميركية البارزة « اننا نذكر أن التضحيات المريعة التى قدمها الاتحاد السوفييتى فى حربين عالميتين قد ساعدت على انقاذنا » .

وقد أشير أكثر من مرة الى الدور الكبير الذى لعبه الاتحاد السوفييتى فى سحق المانيا الهتلرية فى تقرير الجنرال مارشال الرئيس السابق لهيئة الأركان العامة للجيش الأميركى ، الذى قدمه الى وزير حربية الولايات المتحدة والرئيس الاميركى عام ١٩٤٥ .. وجاء فيه : .. « أن الجيش الروسى الذى قيد (بأن تلقى الضربة بنفسه)ثلثى القوات البرية الألمانية وثلث الاسطول الجوى الألمانى ، قد حطم فى المعارك المميتة والمنهكة اسطورة عدم امكان هزيمة فرق البانزر الألمانية » (١) .

وجاء فى نفس التقرير . « ... أن العامل الحاسم بالنسبة للقوات كان الوقت ــ الوقت الضرورى لنقلها (اى القوات الامريكية ــ المؤلف) عبر المحيط الى جبهة الحرب العالمية . وقد حصلنا على

---

(1) The War Reports of General of the Army George C. Marsnall, Chief of Staff, General of the Army H. H. Arnold Philadelphia and New York. 1947. p. 103.

هذا الوقت بفضل المقاومة البطولية للشعب السوفييتى . لقد اشترى لنا الشعب السوفييتى هذا الوقت .. ودفع الثمن بدمه وشجاعته » (١) .

ويقول التقرير ايضا : « ليس ثمة شك فى ان المقاومة البطولية للشعبين الانجليزى والسوفييتى قد ابعدت عن الولايات المتحدة الحرب فى اراضيها نفسها » . ويقول فى الختام : « لو لحقت الهزيمة بالاتحاد السوفييتى وانجلترا عام ١٩٤٢ ... لأصبحنا وجها لوجه تجاه العدو الذى يسيطر على جزء كبير من العالم » (٢) .

وكتبت الجريدة الاميركية « كريستيان ساينس مونيتور » بتاريخ ١١ مايو عام ١٩٥٥ تقول : « وقع على عاتق الشعب السوفييتى أكثر الأعباء وطأة فى الحرب . ومن أجل قياس مدى امتنان الولايات المتحدة للاتحاد السوفييتى ينبغى فقط أن نتصور ما كانت ستكون عليه نتيجة الحرب لو لم يشارك فيها الاتحاد السوفييتى » .

وكتب ستيتينيوس وزير خارجية الولايات المتحدة السابق يقول : « على الشعب الأميركى ان لا ينسى انه لم يكن بعيدا عن الكارثة . فلو لم يستطع الاتحاد السوفييتى الصمود فى الجبهة ، لحصل الألمان على فرصة غزو بريطانيا العظمى ، ولتمكنوا من الاستيلاء على أفريقيا ، ولتمكنوا فى هذه الحالة من تكوين رأس جسر لهم فى أميركا اللاتينية » (٣) .

---

(١) The War Reports of General of the Army George C. Marshall, Chief of Staff, General of the Army H.H. Arnold ... Philadelphia and New York, 1947, p. 153.

(٢) Ibid, p. 149.

(٣) E.R. Stettinius. Roosevelt and the Russians. The Yalta Conference, London. 1950, p. 16.

وهنا ينبغي أن نتذكر أيضا أقوال الجنرال ايزنهاور القائد العام السابق لقوات الحلفاء فى أوروبا الغربية ، فقد اعترف : « ان المآثر العظيمة للجيش الأحمر أثناء الحرب فى أوروبا قد أثارت أعجاب العالم أجمع . وانني كجندي كان يراقب حملة الجيش الأحمر ، فقد غمرني الاعجاب العميق بمهارة قادته . وكحليف موجود فى أوروبا فان الاختلاط بأناس بلغ حبهم لوطنهم هذه الدرجة من القوة بحيث انهم وجدوا من المستحيل الاعتراف بالهزيمة ، قد بعث فى شعورا رفاقيا وديا . لذلك أقدم بأعظم ارتياح التهاني بهذه المناسبة الى جميع مراتب الجيش الاحمر لمآثرهم فى النضال الكبير ، الذى توج بمثل هذا الانتصار المجيد » (١) .

كما اعلن فى خطابه فى كونجرس الولايات المتحدة الاميركية فى ١٩ يونيو عام ١٩٤٥ ما يلى : « ان الهجمات التى قام بها الجيش الاحمر ... قد لعبت دورا هاما فى هزيمة المانيا . ان كفاءة القادة السوفييت ، وشجاعة وقوة تحمل مقاتليهم ـ رجالا ونساء . تثير اعجاب كل من يقدر صفات الجندى القتالية . لقد تطلب الأمر من الشعب السوفييتى تقديم ضحايا هائلة فوق أرضه ، التى أقفرت نتيجة أعمال الالمان الوحشية . وأن رفضه ، عندما طورد حتى ستالينجراد ، بأن تكون هناك نتيجة أخرى للحرب غير النصر ، سوف يدرس فى منهج التاريخ فى كل العصور » (٢) .

وقد نشرت فى الصحافة الاميركية اعترافات مماثلة كثيرة . ومع ذلك ، فمما يبعث على الدهشة أن تتخذ الاوساط الحاكمة

---

(١) أنظر مجلة « زاروبيجوم » السوفييتية ، عدد ١٩ (٢٥٦) ، ٧ ـ ١٩٦٥/٥/١٣ ص ١٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥ .

فى الولايات المتحدة ، المشاركة فى التحالف المعادى لهتلر ، موقفا استفزازيا فى حقيقته يوم الذكرى السنوية العشرين للانتصار على المانيا الهتلرية ، اذ خانت ذكرى ضحايا الحرب العالمية الثانية ضد الفاشية ، و « نسيت » بأن هزيمة المعتدين الهتلريين فى عام ١٩٤٥ قد انقذت الانسانية ، ومن بينها الشعب الاميركى ، من خطر العبودية الفاشية وفتحت أمام شعوب جميع البلدان طريق التطور السلمى .

وقد فرضت الاوساط الحاكمة العسكرية للولايات المتحدة قرارها بالتزام الصمت تجاه عيد النصر على شركائها فى حلف الاطلنطى العدوانى . فأمر من واشنطن « قررت » حكومات جميع البلدان الاعضاء فى حلف الاطلنطى عدم الاحتفال بهذا اليوم بصورة رسمية . وتلقى سفراء هذه البلدان فى الاتحاد السوفييتى أوامر بعدم المشاركة فى حفلات الاستقبال التى أقيمت بعيد النصر ، وعدم حضور العرض العسكرى التقليدى ، وعدم ارسال برقيات التهانى والتحيات وغيرها الى الحكومة السوفييتية .

وقاطعت الاوساط الرسمية فى واشنطن حفلة الاستقبال التى أقامتها سفارة الاتحاد السوفييتى فى الولايات المتحدة بمناسبة عيد النصر ، بينما تحدث مستشار المانيا الغربية السابق ايرهارد الى الاميركيين بواسطة التليفزيون .

لكن الشعب الاميركى لم ينس ولن ينسى المساهمة التى قدمها الاتحاد السوفييتى فى قضية النصر على المانيا الهتلرية .

وقد استقبل نبأ الانتصار على المانيا الهتلرية فى فرنسا بفرح عظيم ... وجاء فى البرقية التى بعث بها الجنرال ديجول الى ستالين بتاريخ ١٢ مايو ١٩٤٥ ما يلى : « فى هذه اللحظة عندما تنتهى الحرب الاوروبية الطويلة بالنصر العام ، أرجو أيها

السيد المارشال أن تنقل لشعبكم وجيشكم مشاعر الاعجاب والحب التى تكنها فرنسا لحليفها البطل الجبار » .

ويشير بول رينو فى مذكراته الاخيرة الى الحقيقة التى لا جدال فيها وهى أن « الجيش الروسى لعب الدور الحاسم فى الحرب العالمية الثانية » (١) .

وفى ٢١ يونيو عام ١٩٤٥ خطب الجنرال الفرنسى جورج كاترو بالراديو (٢) . وجاء فى خطابه ما يلى : « خلال شهور طويلة كان مصير البشرية يتوقف كليا على نتيجة المعركة الدائرة فى سهول أوكرانيا وروسيا . لقد ارتدى الاتحاد السوفييتى حلة المجد وكتب فى التاريخ صفحة ليس لها مثيل من قبل . ويجب أن لاننسى أنه لولا المقاومة المستمرة للجيش الأحمر ، وبالأخص المدافعين عن ستالينجراد لما تم النصر النهائى على العدو ولاكتسب العالم مسحة أخرى ... ولهذا فان البشرية تقدر أكبر التقدير المساهمة الاساسية الهائلة التى قدمتها شعوب الاتحاد السوفييتى وتحملت فى مقابلها التضحيات الجسيمة فى قضية النصر على العدو المشترك » (٣) .

وكانت تتردد مثل هذه الاراء حول دور الاتحاد السوفييتى فى هزيمة المانيا الهتلرية فى فترة ما بعد الحرب أيضا . واليكم بعضها :

---

(1) P. Reynaud. La France a sauvé l'Europe, t.I. Paris, 1947 p. 135.

(٢) شغل جورج كاترو من ١٩٤٥ - ١٩٤٨ منصب السفير المفوض فوق العادة لفرنسا فى الاتحاد السوفييتى .

(٣) انظر مجلة « زاروبيجوم » السوفييتية ، عدد ١٩ (٢٥٦) ، ٧ - ١٣/٥/١٩٦٥ .

كتب الصحفى الفرنسى جان كاناﻻ يقول : « ليس هناك فرنسى شريف لا يعرف بأنه مدين بتحريره للجيش الاحمر » (١) .

ويعترف الخبراء العسكريون الفرنسيون ايضا بجلاء بالدور الحاسم للاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية .

فكتب الادميرال بيولو يقول : « يستطيع الروس أن يؤكدوا دون تردد بأن الصراع (فى الحرب العالمية الثانية ـ المؤلف) كان يدور بالدرجة الاساسية بين القوات البرية الالمانية والروسية ؛ وأن معركة ستالينجراد كانت المعركة الحاسمة فى الحرب وأن المعركة فى المحيط الاطلسى ما كانت لتكسب او لم يضطر الألمان لابقاء طيرانهم فى الجبهة الشرقية » (٢) .

وجاء فى بيان الحزب الشيوعى الفرنسى بمناسبة الذكرى العاشرة للتوقيع على معاهدة التحالف والمساعدة المتبادلة بين فرنسا والاتحاد السوفييتى ، المنشور فى « لومانيتيه » بتاريخ ١٠ ديسمبر عام ١٩٥٤ : « ... لقد انقذت فرنسا من الدمار التام بفضل الاتحاد السوفييتى ، الذى لعب الدور الرئيسى فى هزيمة الفاشية الألمانية » .

وتعرب شعوب البلدان التى حررها الجيش السوفييتى من الغزاة الفاشست عن امتنانها الكبير جدا للاتحاد السوفييتى .

فيقدر الشعب البولونى تقديرا رفيعا المأثرة الحربية للاتحاد السوفييتى ، وأنه فى تلك الايام ؛ وعندما كانت الشعوب تحتفل بتحريرها من الفاشية ، بعثت الحكومة المؤقتة والقيادة العامة للجمهورية البولندية الى رئيس الحكومة السوفييتية برسالة جاء فيها : « بمناسبة انتهاء الحرب ضد المانيا الهتلرية

---

(١) « انهم يخونون » ، جان كاناﻻ ، موسكو ، ١٩٥٠ ، ص ٤٢ .

(٢) دى بيولو « دور الحرب فى المعركة » ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٤٤ .

بالنصر ، وبمناسبة النصر المجيد ، الذى انقذ ثقافة وحضارة البشرية من البربرية الفاشية نقدم لكم ومن خلالكم الى الشعب السوفييتى كله أحر التهانى والتحيات » .

وفى ٧ نوفمبر عام ١٩٤٨ كتب يوزيف تسيرانكيفيتش رئيس مجلس وزراء بولندا فى تهنئته يقول : « لقد حرر الجيش الاحمر بلادنا من نير الاحتلال الهتلرى وهيأ الظروف لاعادة بناء بلادنا بروح العدالة الاشتراكية » .

وأثناء الاحتفال بالذكرى الثانية والثلاثين لتأسيس الجيش السوفييتى فى عام ١٩٥٠ قال الجنرال ادوارد أوهاب نائب وزير حربية بولندا :

« ان الشعب البولندى لن ينسى أبدا التضحيات الكبيرة التى قدمها الشعب السوفييتى فى تحرير بولندا » .

وقال جومولكا فى خطاب القاه بمدينة لودز بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة للتحرير : « كان الشعب البولندى مهددا بالفناء . ويعود الفضل بالدرجة الاولى فى أن الامر لم يصل الى هذا الحد وفى تغيير مجرى التاريخ ، الى المأثرة التاريخية للاتحاد السوفييتى الذى سحق جيشه القوات الهتلرية . وجعل المانيا الهتلرية تخر راكعة ، وأنقذ الشعب البولندى من الفناء ، والشعوب الاخرى من الرق والعبودية ، والتزم بالحرب على اساس هدف نبيل وشعار رفيع هو « من أجل حريتكم وحريتنا » .

ويمجد الشعب الرومانى بقدسية أعمال البسالة التى أبداها المقاتلون السوفييت . ففى ١٦ مايو عام ١٩٤٥ بعث بيترو جروزا رئيس وزراء رومانيا الى ستالين برسالة جاء فيها : « ان الحكومة الرومانية والشعب الرومانى يشكران محررهما — الجيش الأحمر » .

وأعرب الشعب البلغاري عن مشاعر الامتنان الاخوية لتحريره من الاضطهاد الفاشي . فبعد انتهاء الحرب ضد المانيا بعث مجلس الوصاية البلغارى برسالة الى ستالين قال فيها : « ان أفكارنا تتجه فى هذه الساعة المهيبة الى الجيش الاحمر الظفر الذى خاض هذا الصراع الرهيب ضد الطغيان مقدما الضحايا الكثيرة ومبديا آيات البطولة حتى حقق النصر بجدارة » .

وأكد ديميتروف فى تقريره الى المؤتمر الخامس لحزب العمال البلغارى (الحزب الشيوعى) بأن « الفضل الأكبر فى انتصار انتفاضة يوم ٩ سبتمبر ، وفى تحرير وطننا من النير الالمانى الفاشى يعود الى الجيش السوفييتى الشقيق البطل ... »

وسيبقى الى الابد شعور الامتنان فى قلوب أبناء الشعب التشيكوسلوفاكى تجاه الاتحاد السوفييتى لتخليصه أياهم من العبودية الفاشية . فقد كتب فيرلينجر رئيس وزراء الجمهورية التشيكوسلوفاكية فى رسالة بعث بها الى ستالين بمناسبة الانتصار على المانيا الفاشية جاء فيها : « أن نتيجة النصر على المانيا الهتلرية هى تحقيق القضية العظمى فى انقاذ الامة . وقد تم هذا النصر العسكرى الكبير بالدرجة الأولى بفضل المآثر البطولية التى لا مثيل لها للجيش الاحمر والاتحاد السوفييتى » .

وفى ٦ مايو عام ١٩٥٠ قال انتونين زابوتونسكى فى الاحتفال الذى اقيم بمناسبة الذكرى الخامسة لتحرير الجمهورية التشيكوسلوفاكية : « ... لقد وعدنا ونقسم بأننا لن ننسى أبدا امتناننا للشعب السوفييتى وجيشه » .

وتحول الاحتفال بالذكرى الخامسة للنصر الى احتفالات جماهيرية . فأقيمت فى جميع مراكز مناطق الجمهورية التسع

عشرة استعراضات الوحدات العسكرية والمظاهرات والاجتماعات.
وتلقت السفارة السوفييتية فى تشيكوسلوفاكيا فى يوم ٨ مايو فقط أكثر من ٣٠٠ برقية من مجموعات العاملين فى المصانع واجتماعات التعاونيات الزراعية وبعض المواطنين يعربون فيها عن امتنانهم للجيش السوفييتى لتحريره تشيكوسلوفاكيا من الاحتلال الهتلرى .

ووضعت اكاليل الزهور على قبور المقاتلين السوفييت فى مقبرة اولشان ببراغ ، وعند النصب المقام فى ميدان رجال الدبابات حيث وضعت دبابة سوفييتية فوق قاعدة عالية من الجرانيت .

ويحتفظ شعب يوغوسلافيا بمشاعر الامتنان للجيش السوفييتى .

ففى ٩ مايو عام ١٩٤٥ أرسل جوزيف بروز تيتو برقية جاء فيها :

« فى هذه اللحظة العظمى للنصر على المانيا الهتلرية يبعث شعب يوغوسلافيا تهانيه الحارة ويعرب عن شكره الاخوى العميق للجيش الأحمر وشعب الاتحاد السوفييتى لكل التضحيات الهائلة والجهود التى قدمها من اجل انقاذ البشرية كلها ومن أجل مستقبلها الأفضل » .

واكدت جريدة « بوربا » اليوغوسلافية وهى تشير الى انتهاء الحرب ضد المانيا : « لولا الاتحاد السوفييتى العظيم والجبار لتحول العالم الى معسكر هائل للاعتقال . ولولا الاتحاد السوفييتى - وهذا واضح للجميع الآن - لمحيت كافة الشعوب السلافية من وجه البسيطة بموجب مخطط هتلر الاجرامى ... ان النصر الذى يبتهج به جميع الناس الشرفاء هو بالدرجة الاولى من صنع الانسان السوفييتى » .

وتضمن الأمر الصادر عن هيئة رئاسة الجمعية الوطنية لجمهورية المجر الشعبية فى عام ١٩٥٥ حول انهاء حالة الحرب مع ألمانيا الفاشية ما يلى : « لقد حرر الاتحاد السوفييتى المجر من نير الهتلرية مقدما ثمنا لذلك الضحايا الدموية ، التى تزيد من حيث وطأتها على جميع الضحايا التى قدمها الحلفاء الآخرون فى الحرب مع ألمانيا الهتلرية » .

وقال جانوس كادار فى تقريره الى المؤتمر السادس لحزب العمال الاشتراكى المجرى أن « الاتحاد السوفييتى طرد من أراضى المجر القوات الالمانية الفاسية ودفع ثمنا لذلك حياة أبنائه وحرر الشعب المجرى من نير الغزاة » .

وقد استقبلت هزيمة الغزاة الالمان الفاشست بارتياح كبير فى ألمانيا نفسها ، ألمانيا العمال ، والفلاحين والمثقفين التقدميين .

وقد أظهر سير الحرب العالمية الثانية كلها وبالاخص العدوان على الاتحاد السوفييتى ان هتلر وحزبه يقودان البلاد الى طريق الهلاك ، ويعرضانها للهزائم المنكرة . وتولدت لدى الشعب الالمانى نتيجة لادراكه الفشل الحتمى لمغامرات هتلر الرغبة فى التحرر من الفاشية ، والاندفاع الى بناء الحياة على أساس ديموقراطى .

أن الاتحاد السوفييتى ، بسحقه لالمانيا الفاشية قد قدم للشعب الألمانى فرصة بناء حياته على أساس جديد .

وأثارت المساهمة الكبيرة للاتحاد السوفييتى والجيش الاحمر فى قضية النصر على الهتلرية امتنانا عميقا فى بلدان أوربا الغربية .

فمثلا ، قال رينير رئيس الحكومة النمساوية المؤقتة فى صيف عام ١٩٤٥ عند ازاحة الستار عن نصب المقاتلين السوفييت الذين استشهدوا فى المعارك من أجل تحرير النمسا : « اننا

نشكر الدولة الروسية ... من اجل التحرير والمساعدة النزيهة ، التى انقذتنا أيام الحاجة العصيبة ، ونقسم باسمنا وباسم الأجيال القادمة : ان ثقتنا وطيدة وامتناننا للجيش الأحمر لا يتزعزع ، مثل جرانيت هذا النصب » .

وقال فيجيل مستشار النمسا : « اذا ما كنا اليوم اناسا احرارا ولدينا امكانية الحديث وابداء الرأى والفكر بحرية ... فان الفضل فى ذلك كله يعود بالدرجة الأولى الى الجيش الأحمر المظفر » (١) .

وقدم التهانى للجيش الأحمر بالنصر باسم الشعب البلجيكى الأمير شارل الوصى على العرش ، وجاء فى برقيته الى كالينين المؤرخة ١٣ مايو عام ١٩٤٥ ما يلى : « أقدم لسيادتكم أحر التهانى بمناسبة النهاية السعيدة للحرب ضد العدو المشترك . واشاركم الفخر يا صاحب السيادة ، يا من قررتم مصائر روسيا فى هذه الأعوام المجيدة ، فى أن نكون شهودا على البسالة الرفيعة التى تتحلى بها الجيوش السوفييتية ... » .

وأشارت جريدة « أجفى » اليونانية فى ٢٣ فبراير عام ١٩٦٣ ، الى الأفضال الكبيرة للاتحاد السوفييتى فى هزيمة المانيا والتى كثيرا ما يشار اليها فى اليونان ، فقالت : « ان شعوب أوروبا ، والشعب اليونانى ، لم تنس ولن تنسى أبدا أن محاربى الجيش السوفييتى الأبطال لم يبخلوا بحياتهم ، وأسهموا بشكل حاسم فى استعادة الحق فى الحرية والكرامة الانسانية لأوروبا المحتلة من النازيين » (*) .

وفى عام ١٩٥٠ قدم سفيند فاجنر ، وهو أحد المساهمين النشيطين فى حركة المقاومة فى الدانمارك ، تقريرا الى الاجتماع

---

(١) مجلة « زاروبيجوم » السوفييتية ، عدد ١٩ (٢٥٦) ، ٧-١٣/٥/١٩٦٥ .

الذى عقدته جمعية الصداقة الدانماركية السوفييتية فى كوبنهاجن بمناسبة العيد الثانى والثلاثين لتأسيس الجيش الاحمر . وقد ورد فيه : « أن الجيش السوفييتى قدم مساهمة حاسمة فى تحرير الدانمارك » .

وقال كريستماس ميللر وزير خارجية الدانمارك : « أن جميع الشعوب تقدم اليوم شكرها للاتحاد السوفييتى لقاء مساهمته الكبيرة فى هزيمة أشرس أعداء الانسانية جميعا » .

وعبرت ايطاليا على لسان رئيس وزرائها بونومى عن موقفها من النصر على المانيا فى رسالة بعث بها بتاريخ ١٦ مايو عام ١٩٤٥ . وقد ورد فيها : « فى لحظة النصر العظيم تقدم ايطاليا تحياتها لشعوب الجمهوريات السوفييتية ، التى أراقت دماء أبنائها من أجل القضاء على خطر الفاشية والنازية فى العالم » .

وأعرب سباك وزير خارجية بلجيكا بوضوح كاف عن وجهة نظره فى هذا الصدد . ففى حديث اجراه معه مراسل جريدة « ازفستيا » بتاريخ ٨ مايو عام ١٩٦٥ قال : « أعتقد أن جميع الناس فى أوروبا يدركون المساهمة العظيمة التى قدمها الاتحاد السوفييتى فى الحرب ضد الهتلرية ، كما يدركون بأنه كان العامل الحاسم فيها » .

نرى من ذلك أن أهمية النصر على الفاشية والدور الذى لعبه الجيش السوفييتى فى هذا المجال يلقيان ما يستحقانه من تقدير فى جميع بلدان أوروبا الغربية .

خاتمــــة

لعب الشعب السوفييتى الدور الحاسم فى هزيمة قوى الفاشية السوداء التى كانت تهدد البشرية كلها ولقد كتب الصحفى الامريكى ادجار سنو يقول : « ان الأعمى فقط يمكنه أن ينكر الآن أن انتصار الجيش الأحمر كان انتصارا للاشتراكية السوفييتية ، والتخطيط السوفييتى ، والبناء السوفييتى ... » (١) .

وتحقق مبدأ لينين الشهير « لا يهزم أبدا الشعب الذى أدرك فيه غالبية العمال والفلاحين واحسوا ورأوا ، بأنهم انما يدافعون ... عن القضية التى ستضمن لهم ولأطفالهم امكانية الاستفادة من كل خيرات الثقافة ، وكل منجزات العمل البشرى » (٢) .

أن الاتحاد السوفييتى بعد النصر على المانيا الفاشية يناضل ضد خطر أى حروب جديدة ، ويدافع عن المبادىء الحكيمة الجديدة فى العلاقات بين الدول ، والطرق السلمية فى حل كل المشاكل الناشئة .

وللأسف فان الاتحاد السوفييتى لا يلقى فى هذا السبيل التأييد اللازم من جانب الأوساط الحاكمة فى البلدان التى كانت تحالفه فى سنوات الحرب ضد المانيا الهتلرية . بل الأمر على العكس ، فهى تعمل كل ما فى وسعها من أجل احباط جهود

---

(١) مجلة « زاروبيجوم » السوفييتية ، عدد ١٩ (٢٥٦) ، ٧-١٣/٥/١٩٦٥ .

(٢) لينين ، المؤلفات الكاملة ، مجلد ٣٨ ، ص ٣١٥ .

الاتحاد السوفييتى وائتلاف ثمرات النصر على الفاشية . وهى لا تعمل على اجتثاث جذور الفاشية والروح العسكرية فى المانيا الغربية بل على النقيض شجعت وتشجع سباق التسلح وتنشر الأفكار الانتقامية وغيرها مما يشكل فى نهاية الأمر خطر قيام حرب عالمية جديدة . ولكن العالم اليوم غيره بالامس ، اى قبل الحرب . فقد تعلمت الشعوب الكثير . ولم يعد الاتحاد السوفييتى وحده — فقد ظهرت فى الميدان الكتلة الاشتراكية العالمية . وهى قوية بدرجة تكفى لكى تكيل الصاع صاعين لمن تسول له نفسه القيام بحرب عالمية جديدة .

ان الاتحاد السوفييتى الواثق بنفسه يدعو الى السلام لمصلحة جميع الشعوب .

وقد قال بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى تقريره الى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب : « ها هو ذا شعبنا يعيش منذ اكثر من ٢٥ عاما فى ظل السلام . ونحن نرى فى ذلك أعظم انجاز للسياسة الخارجية لحزبنا . وها هى ذى البشرية قد تخلصت من الحرب العالمية لفترة ربع قرن . ان البلاد السوفييتية وسياستها الخارجية قدما مساهمة كبيرة فى هذا الكسب التاريخى للشعوب . غير أن قوى العدوان والعسكرية ما زالت مبعث خطر رغم تضييق الخناق عليها . فخلال سنوات ما بعد الحرب اسعلت نيران اكثر من ٣٠ حربا وصداما مسلحا على نطاقات مختلفة . ولا يجوز القول بأن خطر قيام حرب عالمية جديدة قد استبعد تماما . لكن الحيلولة دون تحول هذا الخطر الى أمر واقع ، هى قضية اساسية بالنسبة لجميع الدول المحبة للسلام ، وجميع الشعوب » (١) .

---

(١) برافدا ، ٣١ مارس ، ١٩٧١ ، ص ٤ .

ولقد حدد المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفييتي المهام الأساسية الثابتة للنضال من أجل السلام في الوضع الراهن بالنسبة للاتحاد السوفييتي بما يلي :

ـ القضاء على بؤر الحرب في جنوب شرق آسيا والشرق الاوسط . وصد الاعمال العدوانية والاصطهاد الدولي بشكل فوري وحازم . ويقترح الاتحاد السوفييتي على البلدان المعنية عقد اتفاقيات تتعهد بموجبها بالامتناع عن استخدام القوة والتهديد بها في حل القضايا المتنازع عليها .

ـ الانطلاق من الاعتراف النهائي بالتغيرات الاقليمية التي جرت في أوروبا نتيجة الحرب العالمية الثانية ، وتحقيق تحول جذري نحو تخفيف التوتر والسلام في هذه القارة ، وضمان انعقاد ونجاح المؤتمر الأوروبي العام . والعمل بكل السبل على ضمان الأمن الجماعي في أوروبا ، واذا ما تطلب الامر الغاء حلف الاطلنطي وفي الوقت نفسه الغاء معاهدة وارسو .

ـ عقد معاهدات تحريم الاسلحة النووية والكيمياوية والجرثومية .

ان الاتحاد السوفييتي يؤيد نزع السلاح النووي في جميع البلدان التي تملكه .

ـ زيادة فعالية النضال من أجل ايقاف سباق التسلح .

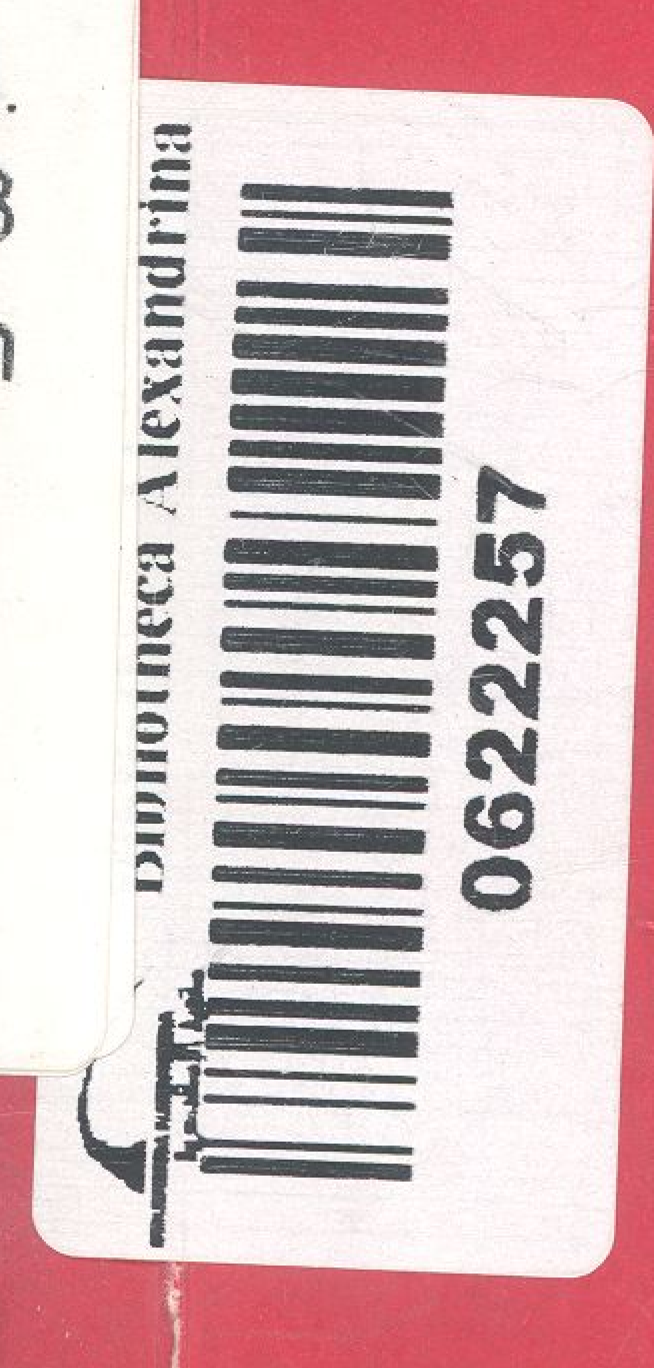
ويقترح الاتحاد السوفييتي عقد مؤتمر عالمي للنظر في قضايا نزع السلاح الشامل . وهو يدعو لالغاء القواعد العسكرية الاجنبية وتخفيض التسلح بالدرجة الاولى ـ في وسط أوروبا ، حيث يكون خطر المواجهة العسكرية على أشده .

ـ يجب ان تطبق بصورة تامة قرارات هيئة الامم المتحدة الخاصة بالغاء انظمة الحكم الاستعمارية .

ـ ان الاتحاد السوفييتى مستعد لزيادة التعاون بين الدول على اساس النفع المتبادل .

ان البرنامج السوفييتى للنضال من اجل السلام والتعاون الدولي يستجيب بصورة جذرية للمصالح الحيوية لكافة الشعوب التى تسعى لضمان الأمن الدولي الوطيد والتقدم الاجتماعي .





مطابع شركة الاعلانات الشرقية